الدكتور: صلاح محيى الدين محمد

الشيخ عجيب
والدولة الإسلامية في سنار



الطبعة الثالثة
١٩٩٥

دار ومكتبة الهلال



مقدمة الطبعة الثالثة

... الشيخ عجيب والدولة الإسلامية في سنار.

تصدر هذه الطبعة الجديدة «مزيدة ومنقحة» في مناسبة الذكرى الخمسمائة للدولة الإسلامية (الأولى) في سنار والتي نشأت في وسط السودان؛ هذا القطر الشاسع الواسع. نشأت عام ٩٠٩ هـ الموافق عام ١٥٠٤ م في ذات الحقبة الزمنية التي تم القضاء فيها على الدولة الإسلامية في الأندلس: بكل ما يحمله ذلك من دلالات تاريخية إسلامياً وحضارياً.

وإذا كان التاريخ هو ذاكرة البشر الموثقة وهو الأساس الذي يقوم عليه بناء مستقبل تطور الأمم، فإن أي استقراء راشد لملامح الحاضر الذي نعيش على المستوى الحضاري الشامل لابد له من إدراك عميق لهذه المعطية: كعامل أساس مفسر ودال.

هذا المؤلف قصد به منذ طبعته الأولى عام ١٩٧٤م أن يفيد من منهجية التوظيف التربوي للتاريخ وللأحداث المؤثرة: وهي منهجية تقوم في الأساس على الالتزام الجاد الخالص بالحقائق والوقائع مع إكسابها من حيث القالب والشكل الصياغي إطاراً

يتسم بالبعد عن التعقيد مع قدر مناسب من الجاذبية الوقور بما يمكن من إيصال الرسالة بيسر لأكبر قاعدة متاحة من القارئين والمهتمين.

وقد أسهم هذا النهج ـ فيما نرى في ذلك الاستقبال الحفي الذي حظي به هذا المؤلف بهذه الملامح المحددة، خاصة والموضوع الذي يبسط مصدر المسح الملخص لمعالم الدولة والنظم والمناخ الإجتماعي السائد في هذه المنطقة من الدنيا خلال تلك الفترة التاريخية في عهد مملكة سنار الإسلامية (١٥٠٤ م ـ ١٨٢١م) هو موضوع شديد الخصب مثير للاهتمام وذلك للغموض والتضارب الذي لحقه التأريخ للفترة ثم لندرة المباحث وأنواع التأليف التي عالجت هذه الدراسات رغم الأهمية الخاصة لتلك الفترة الطويلة وما حفلت به من أحداث.

تقديم

.. مضياً مع هذا الجهد، في إعادة بعث تراث الوطن لا نزال نعمل ـ موقنين أن حاضرنا الباهر، ومستقبلنا الزاهر، يقف على أساس عميق.. عميق.. هو الخلاصة الحضارية لإسهام إنسان هذه الرقعة من الدنيا على مر الحقب..

فشعبنا العظيم.. كان على مر تاريخ حضارة بني البشر ـ جزءاً مضيئاً وإضافة متصلة، وحيوية مستمرة ـ منذ ممالك النوبة القديمة بقرون وقبل ميلاد المسيح ـ ازدهرت حضارة بلاد السودان، وأثرت وأضافت الكثير في التراث الحضاري لبني البشر في قواعد السلوك السوي وفي العلوم والفنون والآداب.

وعلى شباب الوطن المعاصر.. أن يدرك بإيجابية وفي كل وقت أنهم سلالة أمة حية مجيدة، وحملة رسالة حضارية، لا خيار لوطننا في حمل عبئها ـ طبقاً لدورنا التاريخي، وموقعنا الجغرافي المتفرد، كمصدر تمازج وانصهار للثقافات الأفريقية والعربية، خاصة وهذا الكوكب الذي يضمنا جميعاً نحن بني البشر يدخل مشارف القرن الحادي والعشرين ـ عصر الحضارة الكونية ـ والتمازج الحميم الخلاق ـ من أجل صنع حياة أحسن لجميع الناس.

وهذا الكتاب هو - أيضاً - خطوة على طريق التأصيل والإضافة ومعرفة الذات.. تأهيلاً لجيلنا الجديد لثراء هذه الأرض، وعظمة إنسانها.

نسأل الله أن يعين وأن يوفق.

المؤلف



الاهـــداء

إلى ذكرى الشيخ عثمان محمد أنسه ...

من أحفاد عجيب المانجلك - ومن مشايخ العبدلاب الكبار .. أهدى هذا العمل ..

تسجيلاً لدوره البارز في إعادة بعث الاهتمام بتلك الفترة الهامة من تاريخ السودان، فترة الدولة الإسلامية في عهد الدولة السّنارية.

المؤلف

المصادر:

لمن يريد الاستزادة في دراسة هذه الشخصية التاريخية وفترتها الهامة نورد المصادر التالية: وهي مكتوبة بلغة سهلة تماماً وفي نفس الوقت تعتبر المصادر الأصلية ـ التي منها استقى معلوماتهم كل الذين كتبوا عن تاريخ السودان لهذه الحقبة وهذه المصادر هي: ـ

(١) مخطوطة تاريخ ملوك العبدلاب.

(للشيخ الأرباب عبد الله الحسن شاور).

(٢) تاريخ الشيخ إبراهيم عبد الدافع المفتي.

(عن تاريخ سنار).

(٣) مخطوطة كاتب الشونة.

(٤) طبقات ود ضيف الله.

(٥) نسخة الزبير ود ضوه في تاريخ سنار.

(٦) كذلك استعنت بمصدر هام هو المغفور له مولانا الشيخ عثمان محمد أنسه...

تمهيد

ملوك العبدلاب.. ودورهم في تاريخ السودان

العبدلاب هو لقب أطلق على سلالة الشيخ عبد الله بن محمد الباقر بن محمد جبل.. وذلك نسبة للشيخ عبد الله نفسه حينما لقب (بعبد الله جماع) ولفظة (جماع) كنى بها الشيخ عبد الله عندما أفلح في جمع شتات القبائل البدوية الرعوية ذات الأصول العربية.. والتي كانت قد دخلت في أساسها البعيد للسودان من الجزيرة العربية ـ فكانت في أساسها البعيد تنتمي إلى شتى قبائل الجزيرة العربية كجهينة ورفاعة، وبلا، وهوازن وربيعة، ومضر... الخ ولكنها منذ قبل ظهور الإسلام وكما يحدث في كل البلاد المتجاورة هاجرت عبر البحر الأحمر إلى السودان عن طريق ميناء (عيذاب) القديم أو عن طريق ميناء (مصوع) عبر بلاد أثيوبيا وأريتريا...

وعندما ظهر الإسلام وبدأت الفتوحات الإسلامية في مناطق شمال الجزيرة العربية مثل بلاد الشام كسوريا والعراق ـ فإن هجرات العرب اتخذت شكلاً منظماً ـ وعندما شمل الفتح العربي الإسلامي بلاد المصريين في سنة ٦٤٠م فصارت مصر دولة إسلامية ودخلها اللسان العربي بدلاً من لغة سكانها الأصلية كما دخل المصريون في الإسلام.

وكان لا بد من أن يمتد الفتح العربي الإسلامي إلى جنوب مصر (الصعيد) ثم إلى بلاد النوبة والسودان وذلك لتأمين الدولة الإسلامية العربية التي أخضعت كل بلاد المصريين لسلطانها.



صورة لشيخ ممثل لنماذج المشايخ العلماء الذين نشروا الدعوة في السودان

وفعلاً في سنة ٦٤١م أرسل فاتح مصر، عمرو بن العاص حملة إلى بلاد النوبة بقيادة أخيه لأمه: عقبة بن نافع بن عبد القيس الفهري: وحملة ثانية بقيادة عبد الله بن سعد بن أبي السرح - واستطاعت حملة عبد الله بن أبي السرح أن تنتصر على النوبة وأن توقع معهم معاهدة تسمى في التاريخ (بالبقط)(*)... ولكن بعد ذلك بعشرة سنوات أي في سنة ٦٥١م عندما توفي خليفة المسلمين سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ظن أهل بلاد النوبة أن دولة العرب المسلمين في مصر ستنتهي ويرجع العرب إلى بلادهم تاركين بلاد المصريين لذلك نقضوا عهدهم في مصالحة (البقط) وبدأوا بهجمات على الحدود المصرية - فأرسل الحاكم الإسلامي في مصر حملة أخرى بقيادة عبد الله بن أبي السرح... وهكذا استمرت هذه المناوشات حتى سنة ١٣٢٣م حين تم فتح كل بلاد النوبة حتى دنقلا وصارت بلاداً إسلامية.

كان السودان منذ بداية هذه الهجرات العربية مقسم إلى ممالك صغيرة.. ومنذ سنة ٥٤٠م بدأت المسيحية تدخل إلى السودان وكانت هنالك ثلاث ممالك سودانية مسيحية قوية نشأت عقب انهيار الدولة المروية القوية في سنة ٥٣٠م على أيدي الغزاة الأكسوم... فهذه الممالك هي: -

مملكة النوبات: وتمتد من الشلال الأول إلى الشلال الثالث وعاصمتها فرس.

ومملكة المقرة وتبدأ شمالاً من الشلال الثالث وتنتهي جنوباً بالقرب من كبوشية وعاصمتها دنقلا العجوز.

(*) البقط ترجمة عربية لكلمة Pact وهي تعني اتفاق مصالحة (لا غالب ولا مغلوب) فكان عبارة عن أول وثيقة يوقعها حاكم باسم الدولة الإسلامية مع حاكم بلاد النوبة السفلى، كما يشرحها شاطر البصيلي.



أحفاد الشيخ عجيب مع المؤلف داخل الضريح

ومملكة علوه: وكانت تشمل منطقة النيل الأزرق والجزيرة وعاصمتها سوباً شرق الخرطوم (الحالية).

ولقد ذكرنا أنه في سنة ١٣٢٣م سقطت الممالك المسيحية النوبية في شمال السودان ونشأت أمارات تدين بالإسلام. . . وشجع ذلك هجرة المسلمين العرب إلى داخل السودان حيث سبقتهم إلى هناك تلك الفروع من القبائل العربية منذ قبل الإسلام. حيث مملكة علوة النوبية المسيحية (مملكة العنج).

وكانت هذه المنطقة تضم سهول البطانة الفسيحة المنبسطة ما بين نهر النيل والنيل الأزرق والاتبرا. . وبما أن كل هذه القبائل العربية كانت بادية تتخذ من حياة الرعي الحرفة الوحيدة فإنها كانت جميعاً تتكاثر وتتجمع حول هذه السهول بطبيعتها المناسبة تماماً لحياة الرعي والترحل طلباً للماء والكلأ.

وكانوا تحت ظل سلطة الدولة النوبية العليا (مملكة علوه). وكانوا أشتاتاً متفرقين حتى سنة ١٥٠٤م حين استطاع الشيخ عبد الله بن محمد الباقر وهو من أحفاد المهاجرين العرب الذين اتخذ أجدادهم من منطقة (سواكن) في شرق السودان موطناً. وكان الشيخ عبد الله المذكور ـ عالماً ورعاً ورجلاً حكيماً ولذلك اجتمعت عليه أشتات الفروع البادية العربية ـ وذلك لما كانوا يلقونه من شدة من الحكام النوبيين (العنج) في جمع الخراج كذلك شجعهم على التجمع ما بدأ يدب من شقاق بين أولئك الحكام حتى صارت العاصمة (سوبا) تعج بالمؤامرات بين الحكام والأمراء مما شغلهم وألحق الضعف والهوان بدولتهم.

وفي سنة ١٥٠٥م جمع عبد الله بن محمد الباقر كل هذه

الأشتات فاختاروه رئيساً لكل الفروع ذات الأصول العربية ولقبوه (بجماع) كناية عما قام به نحوهم. واستطاع عبد الله جماع أن يتحالف مع ملك الفونج المسلمين حول منطقة سقدي بالقرب من سنار ـ وكونوا جيشاً كبيراً حاربوا به الملوك العنج في العاصمة (سوبا) ثم في (قرى) شمالي الخرطوم بالقرب من جبل الريان (جبل جاري) حتى هزموهم ـ وكونوا على أنقاض دولة علوة المسيحية دولة إسلامية سودانية واحدة شمل نفوذها كل السودان المعروف وامتدت لأكثر من ثلاثمائة وستة عشر عاماً كاملة حتى سنة ١٨٢١م حينما غزا السودان من مصر محمد علي باشا بواسطة أبنائه ذوي الأصل التركي والذين كانوا قد انفردوا بحكم الديار المصرية...

وطوال عهد دولة السودان المستقلة لثلاثة قرون وتزيد (٣١٦ سنة) بقي العبدلاب يشكلون مع الفونج الأساس القوي في سلطة الدولة ونفوذها.

وها نحن الآن نتحدث عن أحد هؤلاء العبدلاب العظام في تلك الحقبة الطويلة الهامة من تاريخ السودان.

الشيخ عجيب المانجلك

نسبه:

هو عجيب بن الشيخ عبد الله بن محمد الباقر الحسين والذي ينتمي في أصله إلى بيت كريم من أشراف مكة المكرمة يعرف ببيت (بركات).

أما أمه فهي عائشة بنت الشيخ حمد أبو دنانة المدفون (بأبي دليق)[١].

ولد الشيخ عجيب في أواسط السودان وسط الفروع الكثيرة من القبائل العربية.

وكان له أخوة كثيرون فيهم الشيخ إدريس الأنقير وذريته تسمى الآن بالانقرياب والشيخ محمد ديومه وهو جد الديوماب والشيخ أدركوجه جد الأدركوجاب والشيخ سبه جد السباباب وغيرهم كثيرون مما لا تزال ذريتهم تحتفظ بأنسابها إليهم، زيادة على عدد من الأخوات الأناث ونسلهن كذلك موجود الآن ومعروف.

---

(١) أبو دليق قرية هي مركز دَعَوِي عريق.

نشأته : ـ

لقد تفتحت عينا الشيخ عجيب على عهد بدأت فيه مكانة والده الشيخ عبد الله جماع ترتفع كثيراً بين كل أشتات الفروع العربية المنتشرة في حوض النيل الأوسط ومنطقة البطانة ـ فنشأ بذلك في بيت الرياسة.

عهدوا به إلى عالم جليل يصحبه أخوته وأنداده فحفظ القرآن الكريم وجوده كما تلقى على يديه علومه الفقهية واللغوية وبرزت مقدراته الفكرية الواسعة. وبدأ في تلك المرحلة المبكرة يظهر الورع وهدوء النفس الشديد الذي اشتهر به بعد ذلك طيلة سني عمره الطويل المديد العامر بالمكرمات. وكانت تلك البيئة الرعوية القبلية تضع الفروسية بكل ضروبها كتقليد أساسي في تربية الأبناء الذكور أعداداً لهم لحياة الترحال بنجوعها ونشوقها وسماتها البارزة في منازلة الأعداء والتغلب على مصاعب حياة الغفار ـ زيادة على صفات الفراسة والنجدة والشهامة والأقدام خاصة بين أبناء المشايخ والرؤساء فأخذ الشيخ عجيب وأخوته من كل تلك الصفات بالشيء الكثير وأعده ذلك كله ـ منذ عهد صباه المبكر لأن يملأ مكانه كأقرب أبناء الشيخ عبد الله جماع إلى نفسه وأهله ذلك لخلافة والده في مستقبل الأيام كما سنرى. . .

فنشأ الشيخ عجيب رجلاً هادىء الطبع ـ لين الجانب ـ تقياً ورعاً وقد منحه الله محياً باسلاً في قامة مديدة، وبسطة في الجسم وفروسية ونجدة وشهامة مع رجاحة في العقل والخلق حتى قالت فيه مغنية العبدلاب : ـ

فارساً ما ابتطيق أعداه هجمة خيله
عزمه يزحزح الجبل العظيم ويزيله

مكانته عند والده: ـ

بدأ الشيخ عجيب منذ إدراكه مبلغ الرجال يحتل مكاناً خاصاً في قلب والده: لكل ما يتحلى به من صفات، لذلك أوكل إليه كثيراً من الأعمال العظام وذلك حينما سمع الشيخ عبد الله جماع عن ملك الفونج في ذلك الوقت. عماره دونقس. فقد كان عماره الحاكم المسلم في منطقة الفونج. واشتهر بسعة أفقه وقيامه بشأن إعلاء كلمة الإسلام. حتى اجتمع عليه كثير من المسلمين من شتى الأجناس فكان يكرم وفادتهم ويسبغ عليهم حمايته، كما سمع عن الملك عمارة، أنه يتهيء لغزو الدولة المسيحية النوبية في علوه وعاصمتها سوبا. . لذلك فإن الشيخ عبد الله جماع أرسل رسله وعلى رأسهم ابنه عجيب حتى يقفوا على حقيقة كل هذه الأشياء ثم لينقلوا للحاكم المسلم هناك في الفونج في جنوب السودان الشرقي. . استعداد المسلمين في أواسط السودان بقيادة شيخهم جماع على أن يدخلوا معه في حلف إسلامي ضد مملكة علوه المسيحية خاصة وأن الشيخ جماع وأتباعه من أشتات الفروع العربية في منطقة الوسط كانوا يقاسون من سلطان الحكام العنج ـ ملوك سوبا وأمرائها ـ كما كانوا يعرفون حقيقة الحال في تلك المملكة. . حيث دبت الفتن والمؤامرات في سبيل التسابق على كراسي الحكم ـ كما انتشرت حياة التبذل والانشغال باللهو مما أشاع الوهن الشديد والضعف في سلطان الملوك. فكثرت حوادث التمرد والخروج على سلطانهم. وعجزوا عجزاً تاماً عن مواجهة ظروف التحلل والضعف التي حلت بدولتهم مما يؤذن بقرب نهاية تلك الدولة.

هناك في جبل مويه وجبال سقدي ـ وجد الشيخ عجيب ووفده أحسن استقبال من ملك الفونج وشعبه ونجحت وفادتهم

تماماً ووضع الأساس لقيام حلف إسلامي. تنبثق عنه دولة سودانية إسلامية واحدة تمثل سلطة مركزية تنشر لوائها على كل مناطق القطر ـ بدلاً من الدويلات والأمارات المنتشرة في تنازع وتنافر في ذلك الحين في السودان.

الحلف العبدلابي الفونجي:

كانت تلك بداية عظيمة في المشاركة العملية الموفقة في شؤون الإدارة وأمور الولاية والحكم ـ فمنذ أن عاد الشيخ عجيب ووفد العبدلاب بدأت الاستعدادات لمرحلة جديدة في حياة وسط حوض النيل بكل الفروع المنتشرة المنتثرة عليه بقيادة الشيخ عبد الله جماع وأبنائه. أخذت الاستعدادات الواسعة تجري بين القبائل وأبناء الشيخ عبد الله وعلى رأسهم الشيخ عجيب يجوبون المنطقة يحثون على التجمع ويطلقون النفير ـ يعدون أجود الجياد وأقوى الدروع. وأمضى السيوف وأمنع الدروق ويحشدون الرجال في سرايا مقاتلة قوية كبيرة.

فعم المنطقة النفير. وتنادت القبائل بالنجدة واجتمع على عبد الله جماع وسلالته (العبدلاب) خلق لجب شاكي السلاح مشرعي الرماح جيش إسلامي سوداني كبير.

ومن الناحية الأخرى تحركت قوات الملك عماره دونقس في جيوش كثيرة في أتم وأكمل هيئة للحرب ـ بكل عدة وسلاح قبائل الفونج تنفيذاً للحلف الذي عقدوه مع العبدلاب. وواصلت جيوش قبائل الفونج زحفاً قوياً في إتجاه عاصمة مملكة علوة في سوبا وهناك اتحد الجيشان.

وبدأت المعركة: التي نبهت الملوك العنج إلى الحالة الأليمة التي آل إليها أمر مملكتهم في علوة.. وانتفضوا انتفاضة أخيرة وهم (رماة الحدق)[1] الذين قاتلوا حروباً كثيرة وانتفضوا انتفاضة أخيرة فجمعوا كل ما تبقى للمملكة (التي أذنت شمسها بالغروب) من قوة. وخرجوا من أسوار العاصمة (سوبا) والتحموا في معركة قاسية مع جيوش العبدلاب والفونج ـ وقاتلوا طويلاً.. ولكن جيوش الحليفين استطاعت أن تكسر شوكتهم، فسقط أعظم رجالهم وانسحب من تبقى حياً حيث وصلوا إلى قرب جبل الريان حيث كان يوجد حصن قرّى الذي تحيط به الجبال. فدخلوه واحتموا به.

ولكن كان انسحابهم وسقوط سوبا ـ العاصمة ـ هو علامة انهيار مملكة علوه.. وبذلك دخل حلف العبدلاب والفونج مرحلة التنفيذ الفعلي فقامت بالفعل الدولة الإسلامية ـ والتي سميت بالسلطنة الزرقاء أو مملكة سنار... وكانت على أساس دعامتين الملك الفونجي يحكم من سنار والملك أو الشيخ العبدلابي يحكم من (قرى) مكونين تلك الدولة التي استمرت لأكثر من ثلاثة قرون كاملة.

فاتح حصن قرى: ـ

إن هزيمة مملكة النوبة العليا علوه. لم تكتمل بالاستيلاء على العاصمة (سوبا) ذلك أن الأمراء العنج برجالهم الذين تقهقروا إلى شمالي الخرطوم (الحالي) حوالي ستين كيلو متراً

---

(١) رماة الحدق: هو الوصف الذي أطلقه العرب على المقاتلين النوبة ـ وذلك كناية عن مقدرتهم البالغة في رمي النبال ـ لدرجة إصابة (الحدق) أي العيون.

حيث يوجد الحصن الحصين في جبل جاري أو جبل الريان (حصن قرى) الحصين هؤلاء كانوا يشكلون تهديداً للدولة الإسلامية المتحدة من الفونج والعبدلاب لذلك كان لا بد من الاستيلاء على الحصن وعلى تلك البلدة ـ ولهذه المهمة وقع الاختيار على الشيخ عجيب ليقود سرايا اقتحام (قرى) الحصينة ـ خاصة وأنه كان قد أظهر البسالة وحسن البلاء في معارك فتح سوبا.

. تجهز الشيخ عجيب في قوة ضخمة من حملة السيوف الراكبين ومن رماة النبل وتحرك مسرعاً سالكاً طريق النيل من منطقة سوبا حتى وصل إلى القرب من جبل الريان ـ وظهرت لهم حصون قرى تحيطها الجبال ـ وتحتمي بنهر النيل من ناحية الغرب. وكان الملتجئون من رجال مملكة علوة قد رفعوا على أبراج الحصن رآية ملوك علوة، إشارة لعزمهم على المقاومة. كما ارتقى أبراج الحصن رماتهم المهرة منتشرين على كل الجهات. وبدأت أبواق الحرب النوبية الشهيرة ـ تهدر بالنفير. ودقات النحاس التاريخي (الشبلنكيت) تأز أزيزاً.

رأى الشيخ عجيب وسريته الموقف الصعب فلم يترددوا إنما نظموا صفوفهم ـ وجعلوا الخيل الجياد وعليها الفوارس الكاملي الدروق وعلى رأسهم الشيخ عجيب نفسه تتقدم الصفوف لكي تقتحم الحصن من أي نقطة يتمكنون من وصولها. . وكعادة العبدلاب في الحروب برزت في المؤخرة (الوصافة) الحكامة تتغنى أمجاد القبيلة شاحذة للهمم ـ موقظة لعزائم الرجال. فشدت في أقوى عزيمة أبياتها في الشيخ عجيب: ـ

شـدو لـه وركـب فـوق الـسـبـيـبـو أجـر

ودقـو لـه الـنـحـاس وهـز أبـفـواطـرن[1] غـر

لـوعـت الـكـفـر يـا حـنـظـل الـقـيـزان الـمـر

صـنـدوق الأمـان أنـا بـيـك بـتـفـشـر

صـمـد الـخـيـل عـريـس أمـات جـبـاهـا غـر

قلب الدود ـ العديلة يا ود القرين الحر

واشـتـد الـمـوقـف. . وتـنـادي الـفـرسـان. وأنـشـدوا نـمـات الحماسة واتجهوا نحو قائدهم القوى الشيخ عجيب ـ فانطلق كالسهم على حصانه الشهير يكبر وينادي بالرجال أن يتبعوه. . .

ويدأت النبل والسهام تتساقط من الرماة المدافعين عن الحصن. ولكن السرية الضخمة لا تبالي بمن يسقط وإنما تواصل خيلها الانطلاق نحو الحصن. وعلى مقربة من أبواب حصن قرى دارت ملحمة قاسية التقى فيها الفرسان من الجانبين وسقط أبطال. واستمرت المعركة في كر وفر واقدام واحجام زمناً ـ حتى تمكن فاتح (قرى) الشيخ عجيب من الوصول إلى فجوة في أطراف الحصن وهناك نادى بفرسانه محرضاً على القتال والتقدم فتجمعوا حوله يقاتلون حتى اقتحم بهم الحصن صفاً أثر صف في قتال مرير عنيف.

وكانت تلك معركة باسلة في تاريخ تلك الحقبة لا تزال بقايا الحصن في قرى وحوله الجبال والتلال الحجرية القوية مشهداً حياً يجسد أمام الأجيال قصة ذلك اليوم الصعب.

---

(١) إشارة لسيفه وهو لا يزال موجوداً كأثر تاريخي ويحكون عنه أقاصيص رائعة كثيرة وقد ورثه عنه وقاتل به كل ملوك ومشايخ العبدلاب الذين أتوا بعد الشيخ عجيب.

أما رجال مملكة علوة عندما قاتلوا ببسالة حتى فني أغلبهم فقد أدركوا أن تلك كانت نهاية مملكة علوه. لكنهم لم يستسلموا إنما اتخذوا طريقاً خاصاً من داخل الحصن أوصلهم إلى نهر النيل حيث كانوا قد أعدوا زوارق عبرت بهم النيل.

وواصلوا من هنالك سفراً طويلاً حتى وصلوا مكاناً في غرب السودان قريباً من بلدة (بارا) الحالية. وهناك حطوا بعيداً في مكان يسمى الآن (الحرازة أم قد).

وسقطت قرى، وسقط حصنها الحصين في أيدي رجال العبدلاب فاعتلوا قممه. وأنزلوا رايات ملوك علوه ـ ورفعوا راياتهم على أبراجه. . راية الإسلام: «لا إله إلا الله محمد رسول الله» ووقف فاتح قرى الشيخ عجيب يستعرض فرسانه أو كما عبر شاعرهم[1]:

طـابـت يـمـيـنـك يـوم قـرى نـازلاً
والـحـرب تـحـكـي لـجـة الـنـيـران
حـفـت بـك الأبـنـاء أسـاد الـشـرى
بـيـض الـعـمـائـم: صـاحـبـي الـتـيـجـان
لـبـاسـهـم صـلـب الـحـديـد، وخـيـلـهـم
نـشـوى بـريـح الـحـرب كـالـسـكـران

---

(١) القصيدة ضمن ديوان الشاعر والفقيه شيخنا ـ المغفور له بإذن الله «الشيخ عثمان أونسة حفيد الشيخ عجيب المانجلك» ـ وهو قائد ومفكر إسلامي ظلت داره كما ظل مسجده ـ وحتى الآن ـ من أبرز مراكز الدعوة الإسلامية: في هذا العصر باذلاً في سبيل ذلك كلما حباه الله به من علم وشهامة ومرتبة العزائم للأولياء الصالحين.

وهذا الكتاب هو إحدى ثمار البذل الإيماني الدعوى لذلكم الفقيه المعلم نسأل الله أن يجزيه عن الإسلام وأهله الجزاء الأوفى وأن ينفع به الأمة وأجيالها في عصر البعث الإسلامي الحديث الذي هيأ الله له قيادات بره من أحفاد أولئك الرجال العظام.

يتسابقون إلى المعالي في الوغى
كتسابق الأجياد يوم رهان
وأبوك جماع الذي جمعت له
غرر الفضائل طاهر الأدران
جمع الإله به العروبة: وهو ذا
شيخ العروبة في ربى السودان

إلى أن قال شاعرهم المجيد: -

سل علوة أو سوبة عن بأسه
عن جيشه الجرار عن أبطاله الفرسان

وبسقوط حصن (قرى) وصل الشيخ عجيب مكانه المرموق كقائد عسكري ذا عزم جبار ومقدرات كبيرة. ولقد تأكدت بعد ذلك تلك المكانة إذ صار يد والده اليمنى ومستشاره ونائبه المقرب في إدارة شؤون مناطق الشياخة العبدلابية الشاسعة... وما أن توفي الشيخ عبد الله جماع حتى تمت مراسيم تولي الشيخ عجيب (رسمياً) ملك وشياخة وإدارة مناطق الوسط التي كانت خاضعة للنفوذ العبدلابي فنودي بالشيخ عجيب (حاكماً) وبدأت حقبة جديدة في حياة هذه الشخصية العظيمة...

* عهد الشيخ عجيب في السودان *

توليه الرياسة:

تولى الشيخ عجيب الحكم في عام ١٥٦٣م بعد وفاة والده وكان عمره عند ذلك الحين يقرب من الستين عاماً وقد سبقته شهرته فطوفت الأنحاء كرجل دولة محنك.. وكعالم ورع تقي. وكفقيه إسلامي كبير.. محب للعلماء ومجالس الذكر والعلم. وكداعية مرموق لنشر الدين والثقافة الإسلامية في ربوع وطنه السودان.

لذلك فإن عام توليه الرياسة شهد بشائر الفرحة التي عمت كل مناطق رياسته... وأتت وفودهم من كل حدب وصوب. تقصد القصيد. وتنشد النشيد تحي بطلها المحنك..

أو كما قال شاعرهم في تحية الشيخ عجيب: ـ[١]

سلام على رب الكتائب والقنا
سلام على حامي الحمى المتدارك
سلام على الطود العظيم الذي دعا
إلى الحق بالبيض العوالي الفواتك

---

(١) من نظم الشيخ عثمان محمد أونسة حفيد الشيخ عجيب المانجلك.

سلام على من تشهد الناس أنه
شبا عزمه فوق النجوم الشوابك
أمام أتيت والناس في جاهلية
في فترة لم تتصل بمدارك
فقدت جيوش الحق حرباً على العدى
لتنصر دين الله بين الممالك
وجردت من سيف العزيمة صارماً
أبدت به (عنجاً) بقية هالك

وكانت وفودهم تترى إلى (قرِّى) العاصمة تجدد البيعة والعهد. وتعلن عن بشائر القبائل بعهد الشيخ عجيب. وأجمعوا على إطلاق لقب جديد على حاكمهم المحبوب.. فأطلقوا عليه لقب (المانجل العظيم) أي السلطان أو السيد الكبير ومعناها إننا لا نجل ولا نحترم أحداً سواك.

وبدأ الحاكم القوي الجديد الشيخ عجيب عهده وهو يحمل في فؤاده كل هذا التكريم والتأييد الذي طوقته به بلاده فشمر عن ساعد الجد فكان عند حسن ظن شعب بلاده فيه في كل حقبة حكمه التي تقرب من الخمسين عاماً. فكيف سار الشيخ عجيب في حكمه كل تلك الفترة الطويلة.

انتشار الأمن في ربوع الدولة وسيادة القانون: ـ

كانت فاتحة عهده ان التفت إلى الأمن يوطده ويؤكد. هيبة الدولة ذلك أن القبائل البدوية والتي تتكون منها ممالك العبدلاب كانت حديثة عهد بالسلطة المنظمة وما تستوجبه من خضوع المحكوم لقوانين ونظم الدولة.

لذلك فحالما انتهت حروبهم مع دولة النوبة ونشأت دولتهم الجديدة. بدأوا يعودون لحياتهم الأولى في منتجعاتهم. فكثر تعدى القبائل على بعضها وتشاجروا في حق ملكية المراعي ومواضع الماء. وبدأت دعاوى العصبية الجاهلية الأولى تعود كما كانت قديماً وهم لا يأبهون لدولة ولا يخضعون لأوامر سلطة. كما تقلص الوازع الديني وسطهم وهم أعراب تفشى الجهل بينهم. . . . خاصة وإن حاكمهم الأول الشيخ (جماع) في أواخر عهده تقدمت به السن كثيراً بعد حروبه المنهكة ضد الممالك النوبية ولم يقدر على إيقاف هذا التدهور كان الشيخ عجيب المانجل الجديد يدرك أنه لا دولة بلا هيبة ونفوذ. فشمر عن ساعده. وبدأ بالعاصمة نفسها (قرى) فجند الجنود واستجلب أجود أنواع الخيل المقاتلة وسلح فرقاً كاملة تصفها مخطوطة العبدلاب فتقول:

(. . كان الجيش المعد لحراسة مدينة (قرّى) في كل يوم. اثني عشر ألف فارس على أثني عشر ألف حصان ـ في لون واحد سواء أكان أحمر أو أبيض أو أزرق أو غير ذلك. . .).

واتجه بعد ذلك لكل منطقة حكمه في قوات كبيرة يعلن عن عزمه على إقرار الأمن وسلطان الدولة. ويؤكد سلطة مناديب الدولة من الحكام في كل إقليم من الملوك والمشايخ وأيدهم برمز السلطة وكان عبارة عن (طاقية) لها قرنان يضعها المانجل الكبير (وهو الشيخ عجيب) على رأس من يريد أن يريسه ويقعده على (ككر) مصنوع من الأخشاب محلى بالصدف والعاج ويقول له أثناء ذلك أمام كل أبناء القبيلة: إني أوليك السلطة في أهلك ـ أيها الأرباب الملك. ومبارك عليك.

كما حدد الشيخ عجيب بشكل واضح سلطات الملوك والمشايخ: فإن مجلس الأجاويد المكون من وجوه القبيلة وكبار السن في كل بطن أو فرع للقبيلة يعاون الملك أو الشيخ في مزاولة سلطاته: وهي توزيع الأراضي الزراعية والمراعي وتحديد حقوق كل قبيلة فيما تستعمله من الأراضي والمفاوز والطرق وتحديد هذه المواضيع تحديداً تاماً تعرفه كل القبائل وذلك بوضع علامات وأمارات ثابتة... كما يسأل الحاكم الإقليمي عن استتباب الأمن وتفادي سفك الدماء كما يقوم بالحكم أو الصلح في كل ما ينشأ من نزاعات داخل قبيله ويتعاون في ذلك مع الملوك والمشايخ المجاورين إذا شمل النزاع نطاق قبيلة أخرى. وهو كذلك يجمع العشور عن الأرض الزراعية وكذلك الدقنية أو أي نوع تفرضه السلطة من الضرائب على الأرض والحيوان والإنسان (كالزكاة والفطرة)... الخ زيادة على الدخوليات والمكوس التي تأخذ من القوافل التجارية العابرة كمقابل جمرك لما تجده من تسهيلات..

... استمر الشيخ عجيب (المانجل العظيم) في تطوافه هذا يعين الملوك والمشايخ ويؤيدهم بالطواقي. وكان أشهر هؤلاء ملوك ومشايخ ـ الحمدة والجموعية والسعداب والميرفاب والرباطاب والشايقيه وملوك أرقو والقدياب بكردفان. وفي شرق السودان. أيد وأعلن عن تعيين عدد من الملوك والشيوخ في الحمران والنابتاب والحلنقة والكملاب وغيرهم..

تأكد للشيخ عجيب بعد إقرار سلطة الدولة ممثلة في المناديب بين مختلف القبائل أن دعاوى. الجاهلية وانطماس معالم الدين الرئيسة قد عمت بين الأعراب ـ فانطمست معالم

الشرع لدرجة أن المرأة ـ مثلاً ـ كانت تطلق فيعقد عليها آخر في نفس النهار فلا حرمة ترعى ولا عدة طلاق. لذلك كله لجأ المانجل العظيم إلى أشهر العلماء فعينهم قضاة يجهرون برأي الشريعة في كل ما يعن من أمور ويجلسون للقضاء في النزاعات على أساس المتفق عليه بين أئمة الشريعة المحمدية حتى أن عدد هؤلاء العلماء الكبار بلغ أربعين عينوا قضاة... وكان أشهرهم القاضي الورع (دشين) وهو جد الشيخ محمد ود مدني السني المدفون على نهر الدندر...

وكان الشيخ دشين هذا عالماً ورعاً فاشتهر قضاؤه بالدقة والعدل والحزم ـ حتى قال فيه الشيخ فرح قولته المعروفة:

دشـــيـــن قـــاضـــي الـــعـــدالـــة

دشيـن الـمـا بـمـيـل لـلـضـلالـة... الـخ

ومنهم كذلك الشيخ عبد الله العركي الولي الكامل في علوم الظاهر والباطن وهو جد العركيين في أبي حراز ولقد قال فيه الشاعر:

يـــحـــكـــم بـــالـــشـــريـــعـــة لا يـــبـــالـــي

يـقـضـي الـحـق بـالـنـوازل والـنـقـول

ومنهم الشيخ علي ود عشيب المولود في بندر دنقلا والمدفون ببلدة ود عشيب قرب الهلالية.. ومنهم الشيخ عبد الرحمن النويري القطب الكامل ـ ومنهم الشيخ محمود العركي راجل (القصير) على النيل الأبيض. ومنهم الفكي حمد النجيض الجموعي العوضابي صاحب مسجد (اسلانج) شمالي الخرطوم ومنهم الفكي بقدوش السرورابي ومنهم الشيخ محمد النبيه على دار جعل.. وغيرهم.. وغيرهم....

نشر تعاليم الدين الحنيف والثقافة الإسلامية: ـ

اجتهد المانجل العظيم وهو يطوف كل أنحاء مملكته يقر النظام. ويوطد سلطان الدولة... ويعين القضاة من العلماء. اجتهد في أن يقتلع جذور الجاهلية ويزيح الجهل الذي عاد ورأن على قلوب الأعراب فأصبحوا وكأنهم لا علاقة لهم بالإسلام إلا مجرد اسمه.. فعقد مجالس الوعظ والإرشاد وبث الدعاة في الأنحاء ثم نظم تلك الجهود في عملية تعليمية وتربوية.

كان طريق العلم والتربية الإسلامية الممكن والسائد في ذلك الحين هو طريق الخلاوي لحفظ وتعلم القرآن الكريم ـ ثم المساجد حيث تعقد حلقات الدرس في فقه الدين والشريعة والعلوم النقلية التي لها صلة بعقائد المسلمين وما يحتاجونه في دنياهم أو كما عبر عن ذلك في إيجاز بليغ كتاب (السودان في قرن) حين قال:

.. في ذلك العهد كانت مدارس القرآن والمساجد هي مؤسسات التعليم الوحيدة. فأخذ الطلاب يهاجرون من مواطنهم النائية للرشف من مناهلها وتلك كخلاوي المجاذيب الشهيرة ببربر (مثلاً).

وكان كلما يطمح إليه الفرد من نيل نصيب من المعرفة أن يسلك الطريق على شيخ مشهور أو تلميذ لشيخ مشهور ويأخذ عنه ما يحتاجه لأداء عباداته الدينية ـ أما كل ما يعن للناس في مسائلهم الحياتية من أمور النكاح من زواج وطلاق وكذلك أمورهم الدينية الأساسية كالصلاة فروضاً وسنناً وكيفية. وكالزكاة ـ أنصبة ومقاديراً فإن مرجعهم فيها إلى فكي الحلة أو

شيخ الطريق[1].

ومجالس الذكر وحلقات الدرس كانت تتخللها المدائح النبوية وكانت تشكل المجتمع الخير الرصين الذي يقصده الشيب والكهول والشباب. . .

وقال كتاب السودان في قرن في هذا المجال عن الشيخ عجيب المانجلك: ـ

(وأشهر الملوك الذين جهدوا في نشر الثقافة والعلم الإسلاميين الشيخ عجيب المانجلك خليفة عبد الله جماع على مشيخة العبدلاب، إذ يقال أنه كان يقطع الإقطاعات الواسعة للعلماء والصالحين يشوقهم للإقامة في مملكته بكل الطرق حتى ينشروا الدين والثقافة الإسلاميتين)[2].

اتجه الشيخ عجيب إذن بكل عزمه في جانب نشر الوعي لإزالة الضلال والوقر عن العيون فأنشأ المساجد وبنى الخلاوي لتدريس القرآن الكريم وعين المدرسين في أرجاء مشيخته بدأ بمنطقة وسط السودان ثم تابع شرق النيل الأزرق حتى بلدة (الروصيرص) ومنطقة يقال لها (ساوليل) ومنطقة (أحمر موقى) وكذلك في بلدة (الكرمك) (وفداسي) وحتى جبل (قمبرة) في حدودنا الشرقية مع أثيوبيا ـ واتجه نحو منطقة غرب السودان يقيم الخلاوي والمساجد دور التعليم والذكر حتى وصل بذلك (كاب بلول) وكذلك اتجه نحو شمال السودان حتى منطقة (فرس) وفي الشرق سواكن ومصوع كما واستجلب الأساتذة والعلماء من كل

---

(١) الفكي هو الفقيه او المتفقه بالدين والحلة هي البلدة كما تجري بها العامية السودانية.

(٢) كتاب [السودان في قرن] للدكتور مكي شبيكة خاصة طبعة سنة ١٩٦١م (بتصرف).

مكان. ولقد أخذ يشجع أهل العلم على الإقامة في مملكته فأقطعهم إقطاعات واسعة من الأطيان لا تزال موجودة حتى اليوم عند أحفادهم وحباهم باهتمامه وتقديره وهداياه الثمينة ـ مما جعل اسمه يشتهر بين بلاد الإسلام فأخذ كل عالم إسلامي قادر على الهجرة وتجشم السفر لنشر دعوة الإسلام والتفقيه فيه يتجه نحو بلاد الحاكم الخير المانجل السوداني العظيم. فدخل السودان في تلك الأيام علماء من المغاربة والمشارقة كالشيخ تاج الدين البهاري البغدادي وغيره من العلماء.

ومن الناحية الأخرى فتح الشيخ عجيب أمام السودانيين باب الهجرة في طلب الاستزادة من العلم للراغبين في ذلك فسافروا إلى بلاد الحجاز وإلى الأزهر الشريف. وكانت حكومة الشيخ عجيب تمدهم بالمال والمساعدات...

وبدأت بذلك نهضة تعليمية ودينية انتظمت كل مناطق شياخة العبدلاب.

وأقبل السودانيون على حلقات العلم في المساجد والدور وانحسرت غشاوة الجهالة والبداوة وانفتحت الأعين والقلوب على النهضة الجديدة فشاعت روح السماحة وتحكم العقل وروح الشرع. ومكن ذلك من انقشاع دعاوى الجاهلية العصبية فسادت علاقات الألفة بين فروع القبائل وفي العلاقات العادية بين الأفراد..

ازدهار دولة الشيخ عجيب: ـ

لقد كان المانجل العظيم عند حسن ظن رعيته وأهله به ـ لقد شمر عن ساعد الجد والمثابرة في اللحظة التي نودي به فيها

مانجلاً عظيماً وخليفة لوالده على مملكة العبدلاب. ساعده على ذلك صفاته العظيمة التي تحلى بها: -

كرجل دولة محنك، ومقاتل شجاع، وكرجل تقي ورع محب للشريعة وللعدل بين الناس. كذلك ساعدته خبرته وتجاربه الغزيرة حين شب إلى جانب والده وتفتحت عيناه على الفترة الصعبة ووالده يجهد ويتعب في توحيد كلمة فروع الأعراب المشتتة في البوادي والبطاح حين تابع جهود والده وهي تثمر وتتوج ببروز والده شيخاً عاماً تنضوي تحت لواء زعامته أشتات البوادي، والبطاح في السودان الوسط الخ... الخ.

ساعد ذلك كله المانجل العظيم في تخطيطه لإعادة بعث مشيخة العبدلاب.

وكان موفقاً حين بدأ بالأمن والنظام يعيد سلطان الدولة بعد أن عادت أشتات الأعراب البادية تزاول حياة العصبية الجاهلية بلا وازع من دين أو خضوع لسلطان منظم - واستطاع أن يجهز قوات كافية من الفرسان شكلت قوة أرهبت المارقين على السلطان المنظم - وقام بقوات كبيرة يطوف أنحاء شياخته الشاسعة شمالاً وشرقاً وفي كل جهاتها يملك الملوك ويشيخ الشيوخ ويؤكد سلطانهم كممثلين للحكومة في إقرار النظام وإشاعة الأمن وإعادة الحياة المنظمة. وبذلك بدأ الاستقرار وعادت وسائل التعامل وتبادل المصالح في التجارة والزراعة وغيرها.

وأخيراً فإن الشيخ عجيب عزز ذلك كله بالاعتماد على قضاة أكفاء من العلماء أشاعوا العدالة والحزم - كما اتجه نحو القلوب والبصائر التي أعماها الجهل والبداوة فأكثر من تشييد دور

العلم والتدارس. أكثر من الخلاوي والمساجد وشجع العلماء والفقهاء على الهجرة والإقامة في منطقة مشيخته. . فعزز ذلك كله روح الاستقرار ـ فبدأت التجارة تزدهر والتعامل يتسع ويزداد. والزراعة تنتشر. فتقوم القرى والمدن على ضفاف النيل ويستقر الأعراب الرعاة البادين وتبرز إلى الوجود صورة حياة جديدة تنتظم كل جناح مشيخة العبدلاب وتلتقي بعد ذلك بالجناح الآخر من الدولة السودانية جناح السلطة في (سنار) فتبرز صورة سودان القرن السادس عشر. تلك الصورة التي استطاعت أن تجذب أنظار عالم ذلك القرن فتأتي إليها الوفود من السائحين والمبشرين والتجار من كل أصقاع الدنيا.

أوقاف الشيخ عجيب في بلاد الحجاز: ـ

كان طريق الحجيج من السودان إلى بلاد الحجاز طريقاً شاقاً مضنياً يمر بالقصير في شرق السودان عبر التلال والجبال والبطاح المجدبه ـ فصمم الشيخ عجيب على تسهيل طريق الحجيج على أن يكون ذلك بربط منطقة الوسط في ضفاف النيل مع منطقة البحر الأحمر. من ميناء سواكن السوداني حيث يتم العبور إلى ميناء جده في بلاد الحجاز.

واستطاع الشيخ عجيب بالفعل أن يدعم طريقاً يبدأ من بلدة بربر على ضفاف النيل ويمر عبر السهول حتى مدينة سنكات وكانت هنالك عقبة من التلال الصخرية بعد سنكات حتى ميناء سواكن فاستجلب الشيخ عجيب كميات كبيرة من السمن صبها على الصخور العاتية وأشعل فيها النار فتهشمت وأمكن شق الطريق من المكان الذي توجد عليه اليوم (محطة أربة) ولما وصل

الطريق إلى سواكن كانت مشكلة الماء الصالح للشرب أكبر المشاكل لذلك حفر الشيخ عجيب حفيراً ضخماً جنوبي بلدة سواكن كان يمتلىء بالماء في موسم الخريف ويبقى كذلك حتى يحل الموسم الجديد وأطلق عليه (حفير شات) وظل مورداً لماء أهل سواكن لزمن طويل..

وتقدم المانجل العظيم أول وفود الحجيج التي سلكت الطريق الجديد. وكان وفداً كبيراً أراد أن يدلل به على المكانة التي بلغتها بلاده من التقدم والاستقرار حتى ترى ذلك كل وفود البلاد الإسلامية التي تأتي للحج في ذلك العام. لذلك أخذ معه كل ما غنمه العبدلاب في حروبهم ضد الملوك العنج من الذهب والياقوت والتحف الأثرية الثمينة. وهناك في بلاد الحجاز أهدى الهدايا الثمينة للحكام ومشاهير العلماء ولما رأى الشيخ عجيب المشقة التي كان الحجاج السودانيون يجدونها في السكن المريح أثناء أقامتهم لأداء فريضة الحج صمم على إقامة منازل خاصة بهم وجعلها وقفاً في سبيل الله فقيل أنه بنى في المدينة المنورة أبنية لإقامة الحجيج راقية تتكون من عدد كبير من السرايات حول المسجد النبوي ـ وكانت مأوى الحجيج السوداني وآثارها لا تزال باقية هناك ـ كما أمكن الحصول على صورة مصورة للمكتوب الذي بموجبه تم تسجيل ذلك الوقف (أنظر ذلك في الملحق).

وقيل كذلك أنه بنى في مكة المكرمة أبنية لإقامة الحجيج من السودانيين.

كما شارك كعادة الملوك في ذلك الزمن في كثير من التحسينات والزينات التي أجريت على الأماكن الشريفة في

الحرمين الشريفين[1].. واستطاع بالفعل أن يبرز وجه بلاده وأن يعلي من شأنها بين مختلف وفود الأقطار الإسلامية - وكان ذلك من أشهر الأعوام بالنسبة لوفود الحجيج السوداني في بلاد الحجاز..

حروب الشيخ عجيب: -

لقد واجه الشيخ منذ بداية عهده منذ سنة ١٥٦٣م وعلى مدى حكمه في الثماني والأربعين عاماً أي حتى سنة ١٦١١ كثيراً من التحديات التي اضطرته للمواجهة بالسيف وإشعال الحرب فانتصر في بعضها ولقي الهزيمة في بعضها ولكن ذلك لم يؤثر في تصميمه على تنفيذ خططه التي عزم عليها منذ البداية في إقرار الأمن وإخضاع المتمردين على السلطة وفي إشاعة العمل بروح الشريعة ضد البدع والهمجية وروح الردة الجاهلية وسوف نرى كيف كان تصميم هذا الرجل العظيم بالغاً أقصى مدى لدرجة أنه حتى أواخر أيامه عندما زاد عمره عن المائة والعشرة عاماً وتقدمت به السن لم يتردد ولم يقبل التراجع عندما دعا داعي الحرب فتقدم رحاله غير راكن لحكم السن وعجز الجسم وخاض في عزم البواسل وأفذاذ الرجال المعركة في ضراوة وشموخ حتى سقط بين القنا والبواتر بطلاً شامخاً في تاريخ بلاده لم يرض أن تكون نهايته حتى وهو في تلك السن كنهاية الشياه يستسلم للنهاية في قنوط...

---

(١) من ذلك أنه جمع قدراً كبيراً من ذهب جبال بني شنقول السوداني المشهور حيث أسهم في عمارة المسجد النبوي الشريف بالمدينة المنورة خاصة بعض القباب والمنارات المعروفة بما توثقه المحفوظات القديمة في الاراضي المقدسة.

حربه الأولى:

كانت أولى حروب الشيخ عجيب حرباً بالنسبة للمانجل العظيم مقدسة فقد بلغت الهمجية والانتكاسة الجاهلية أفظع درجة بين أعراب البادية بادية الصبح في الشرق القصي وكذلك بين فرع من قبيلة بيجاوية عربية يقال لهم (المناع) فكانوا قد ارتدوا عن الإسلام وأخذوا في حياتهم بما كانوا عليه في وثنيتهم من عادات وكانوا يقيمون في مكان يقال له (رأس وا واودر) في منطقة تبعد بمسيرة ثماني أيام شمالي مدينة سواكن. وامتنع هؤلاء عن الخضوع لسلطان الدولة والاعتراف بمن تسميهم من الشيوخ. إنما رجعوا لما كانوا عليه فأسموا حاكمهم (الحدربي). ولم يكتفوا بذلك إنما أخذوا في الإغارة والسلب في حدود دولة العبدلاب فأشاعوا الذعر والاضطراب وقطعوا على الحجاج الطريق إلى ميناء سواكن.

ولما سمع الشيخ عجيب عن كثرة هؤلاء المارقين وعن ما اشتهروا به من قوة بطش أخذ يفكر في أسلم طريقة يتعرف بها على حقيقة قوتهم حتى يعرف إن كان في إمكان قواته التغلب عليهم حتى لا يهزم وتصاب هيبة الدولة فيغرى ذلك بقية الإعراب في التمرد والثورة... فقر رأية على حيلة نفذها بنفسه. فتنكر الشيخ عجيب في زي أعرابي متجول. وخرج سراً وضرب في الخلاء مسافراً حتى وصل إلى ديار ذلك الفرع (المناع) وهناك حط رحله كضيف عابر وكعادتهم أدخلوه على حاكمهم (الحدربي) فتحدث إليه ذاكراً بأنه أعرابي جوّال هارباً من سلطة الملك عجيب وأنه ينوي الاستجارة به.

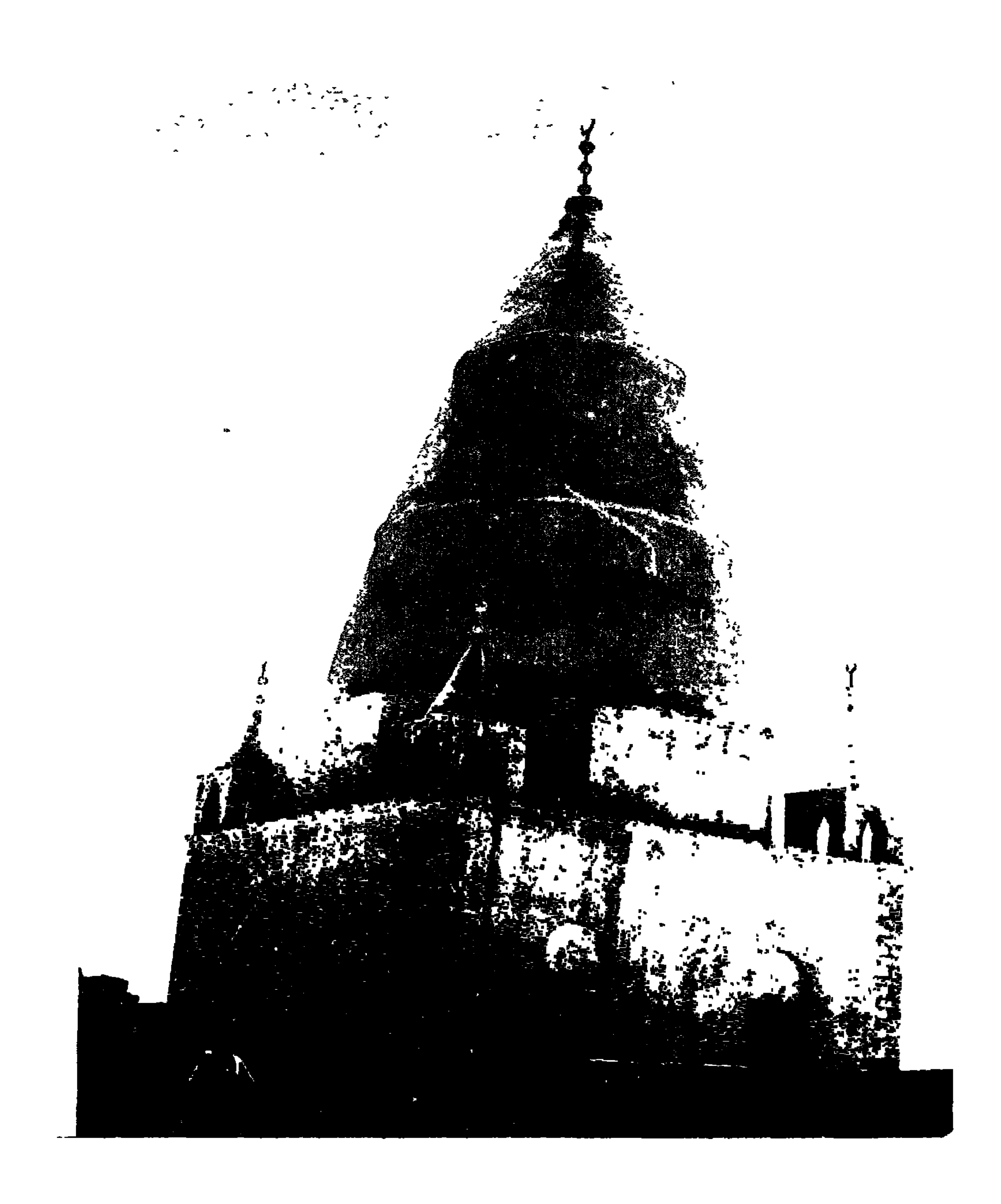
بقي الشيخ عجيب في ذلك الزي متنكراً يقيم مع تلك

القبيلة فتعرف على أحوالهم ومدى ما قيل عن قوتهم وضراوتهم في الحروب. كما تأكد كذلك بأنهم ارتدوا تماماً عن الدين الإسلامي وعاودوا حياتهم الفطرية الوثنية في زواجهم واختلاطهم ومعايشهم وعاداتهم وعند ذلك احتال حتى خرج منهم عائداً وهناك صمم على حربهم فأعد قواته وبدأ الزحف حتى وصل إلى مكان قريب منهم..

وكتب خطاباً إلى (الحدربي) حاكم (المناع) كشف له فيه عما وقف عليه أثناء تخفيه وإقامته عندهم ـ وذكر له أن ذلك الضيف العابر لم يكن إعرابياً فاراً ـ إنما كان ذلك هو نفس الشيخ عجيب المانجلك... وأنذره أما أن يستسلم لسلطان دولة العبدلاب ويعود بقومه إلى حظيرة المسلمين من جديد وينبذ كل عاداتهم وأعرافهم غير الإسلامية وفي تلك الحال فإن (الحدربي) يمنح طاقية الرياسة ويصير ملكاً على قبيله خاضعاً لسلطان ملك العبدلاب وفي حالة رفضه لذلك فعليه أن يستعد للحرب..

فرفض (الحدربي) شروط الشيخ عجيب.. بل ذكر له أنه كان يعرف حقيقته حين كان متخفياً في زي أعرابي وأقام عندهم.. وأنه منحه تلك الفرصة حتى يرى بنفسه قوة (المناع) وكثرتهم ومناعة موقفهم فيمتنع عليه التفكير في محاولة محاربتهم ثم ذكر له استعداده للحرب.

وعند ذلك تقدم الشيخ عجيب بقواته الكبيرة فخرجت سرايا (المناع) إليه والتقى الجمعان ودارت المعركة الأولى فظهرت بالفعل ضراوة المناع في القتال وشدة بأسهم إذ قاتلوا جيوش مشيخة العبدلاب قتالاً عنيفاً طيلة ذلك اليوم وفي اليوم التالي استأنفوا القتال بذات العنف طيلة النهار حتى حل الظلام.



القبة الجديدة للشيخ عجيب بقرّى

لذلك صمم الشيخ عجبب على إتباع خطة جديدة في قتاله معهم على أساس أن يجرهم بعيداً عن مواقعهم وموارد تموينهم. وكان ذلك بالنسبة لجيوش العبدلاب ممكن لكثرة أعدادهم واكتمال العدة والمؤونة التي تزودوا بها. لذلك فإن المعارك بين الفريقين اتخذت شكلاً جديداً اتبعت فبه قوات الشيخ عجيب خطة التقهقر المستمر إلى الوراء وسرايا (المناع) تتبعهم حتى استمروا على ذلك الحال عشرين يوماً كاملة ـ وهناك تأكد للمانجل نجاح خطته وبدا الانهاك الشدبد على أعدائه فقيل أنه في ذلك اليوم أعاد تشكيل قواته وكان له أبناء كثيرون يبلغون تسعة عشر شاباً كلهم مشتركون في القتال فناداهم إليه وجعلهم يقفون في الصف الأول بحيطون به وأمرهم بضرب المثل للآخرين في الثبات والقتال وعندما دارت المعركة قاتل فيها الشيخ عجيب وحوله جميع أبنائه أمر قتال فتبعتهم بقية القوات وقد أخذوا بمنظر الشيخ وحوله أبنائه فتسابقوا للذود عنهم في القتال وبذلك لم تستطع سرايا أعدائهم الثبات ففروا.

ولكن الشيخ عجيب وقواته تبعتهم حتى ديارهم ـ وهناك أخضعت تلك المنطقة لنفوذ مملكة العبدلاب ولتوكيد ذلك زوج أحد أبنائه (عثمان) من بنت أحد مشاهير تلك المنطقة الشيخ عشيب وهو من قبيلة (الامرأر) ولا تزال ذريته تعرف في تلك المنطقة باسم (العثمن) أي أبناء عثمان بن عجيب المانجلك. ولإعادة حكم الشرع فيهم عين الشيخ عجيب المانجلك قاضياً ورعاً هو الشيخ نابت الجعلي ولا تزال ذرية هذا القاضي الصالح تتولى مكانة الرياسة في قبائل شرق السودان خاصة في البنى عامر ويعرفون الآن باسم (النابتاب).

وبذلك مكن الشيخ عجيب سلطان دولته في نصر كامل في حربه الأولى فشاع ذلك وذاع بين القبائل حتى امتدحه شاعرهم واصفاً دور المانجل العظيم وأبنائه في المعركة قائلاً: ـ

العنده تسع عشر من صقور جماع
المثل أسود الخلا القماع
حتى الطير فضلة الشكشك الرماع
كيف ينزل وقيع من ورا المناع

حربه مع الملك الفونجي عبد القادر الثاني: ـ

مضى المانجل العظيم في توطيد دعائم دولته فحارب كثيراً من الحروب الصغيرة ضد فروع القبائل المارقة حتى أكد نهائياً سلطانه بينهم فلم يعد التحدي يأتي من داخل حدوده ـ لذلك مضى في مشاريعه الأخرى من تعيين العدول من القضاة وفتح دور التعليم والدرس من الخلاوي والمساجد واستجلاب العلماء وتحبيب الإقامة إليهم بشتى الطرق مما مكن للاستقرار وازدياد التبادل في المصالح وازدهار التجارة والزراعة وبرز وجه قوى لنهضة كبيرة في هذا الجناح من الدولة المركزية نتاج التحالف الاتحادي الفونجي العبدلابي.. لكن التحدي يأتي هذه المرة من الجناح الآخر للحلف من مملكة سنار.

فقد كان السلطان الفونجي في ذلك الوقت هو الملك عبد القادر الثاني الذي حكم في الفترة ١٥٩٩م إلى ١٦٠٥م.

قيل أن ملوك الفونج أصبحوا يشعرون بأن الجناح الآخر للحلف في مملكة العبدلاب قد توسع بأكثر مما قدروا له وكانوا أقل رعاية لعلاقات الود التي كان مؤسساً جناحي الحلف الملك

عمارة دونقس والشيخ عبد الله جماع: حريصين عليها أشد الحرص حتى توفاهما الله..

لذلك وعندما اكتملت النهضة وتوسعت مملكة العبدلاب في عهد الشيخ عجيب المانجلك ـ فإن هذا الإحساس في الجناح الآخر في سنار أخذ يتزايد حتى وصل أقصى درجته في هذا العهد عهد الملك عبد القادر الثاني ـ فرفع الحليفان في شطري الدولة السودانية الموحدة: السلاح في وجه بعضهما واندلعت الحرب بينهما مما كان له آثار كبيرة متلاحقة ـ لكن دولة السودان الموحدة نفسها لم تمت لأن الحليفان في عهود لاحقة استطاعا إدراك الوضع ورأب الصدع واستمر الحلف وعاشت دولة السودان طويلاً حتى سنة ١٨٢١م ـ

نرجع ونقول أن الملك الفونجي عبد القادر الثاني وصل بالشكوك التي بدأت تساور ملوك الفونج في مدى التزام جناح العبدلاب لشرط التحالف إلى أقصى مدى فوقعت الحروب وكان السبب المباشر أن الملك الفونجي فرض على بعض القبائل العربية والخاضعة في الأساس لمشيخة العبدلاب كثيراً من الفروض والجبايات وأخذ يقسو في تعامله معهم من حيث المرعى والتجول في طلب الكلأ ولم تنجح كل المحاولات في أثناء الملك الفونجي وكان ذلك يعني سلب مشيخة العبدلاب رياستها المقررة بحسب حلف ١٥٠٥م مما يقود لزعزعة الهيبة في سلطان دولتهم بين أشتات القبائل الرعوية العربية الحديثة الخضوع لسلطان ونظم الدولة. زيادة على ذلك فإنه بحسب عادات هؤلاء فإنهم يعتبرون تقاعس حاكمهم عن نجدة من حاق بهم الظلم من بني عمومتهم أكبر عيب يلحق بمكانة هذا الحاكم.

وزاد الطين بلة أن الملك عبد القادر كان ذا طبع ينقصه الحزم الضروري الذي تميز به أسلافه فكان سميعاً يأخذ ما ينقل إليه ـ من حديث دون تثبت كافي كما كان يفرط كثيراً في احترام ـ عادات وتقاليد الأجناس المختلفة الذين ضمتهم مملكته . .

لذلك كله لم يك بد من الصراع فجمع المانجل العظيم جيوشه وتحرك بها حتى التقى بجيش الملك عبد القادر الثاني ودارت معركة قاسية بين الفريقين واستطاع عجيب بثباته في نجدة أعرابه أن يستثير حماس كل أشتات الفروع البدوية فهرعوا بدروعهم وخيلهم ورجلهم وانضموا إلى مانجلهم العظيم وبذلك فويت كفة جيوش مشيخة العبدلاب في حين لم ينضم للملك السناري غير المحبوب إلا القليل ـ فانتصر الشيخ عجيب وتقهقرت جيوش سنار وتابع العبدلاب ملاحقة الجيش المتقهقر حتى منطقة جبال لول بالقرب من بلدة الروصيرص.

فأعلن انتصار الشيخ عجيب المانجلك ـ الذي بفي متريثاً كعادته ليؤكد سلطته في المنطقة الجديدة. فأقام مسجداً بجهة (ساوليل) وهي محطة سكة حديد الآن ـ وأقام آخر ببلدة اسمها (المسيد) بالقرب من الكرمك. وثالث أقامه في منطقة قبائل الكوفة وأعلن هناك أنه يعتبر بذلك النصر أن حدود منطقته في الجزء الجنوبي الشرقي صارت هي منطقة (الحجر أبو قد) أي نهاية حدود القطر السوداني مع الحبشة. . . وأعلن عن شياخات أيدهم بالطواقي رمز (الأربابية) أي الرياسة عند العبدلاب. . وبعد ذلك عاد الشيخ عجيب إلى عاصمة مملكته (قرّى) حيث استقبل أروع استقبال في تاريخ (قرّى).

حربه ضد الملك عدلان واستشهاده في المعركة: ـ

ومضى الشيخ عجيب المانجل العظيم في عهده البارز المليء بالأحداث في تاريخ كل العصور التي شهدها السودان مضى الرجل العظيم في تنفيذ مشاريعه الكثيرة الهامة وكان آخرها كما وصفنا حجه إلى بيت الله الحرام على رأس وفود ضخمة من حجيج السودان. وذلك بعد أن فتح طريق (بربر سنكات سواكن) وأقام حول سواكن الحفير الكبير المسمى (بحفير شات)[١].

وكانت أخبار عامه ذاك عن البذل السخي الذي بذله كرجل دولة مسلم في تحسين المزارات والمقامات الشريفة هنالك. كذلك في إقامته الطويلة في أرض الحجاز حتى أسس بالمدينة المنورة منازل مريحة للحجيج السوداني وسجلها كوقف في سبيل الله كانت أخباره تلك قد ملأت البطاح وتناقلها الناس في كل مكان[٢].

ولما عاد المانجل العظيم كانت السن قد تقدمت به كثيراً إذ يقال بأنه تعدى المائة كثيراً ولكن حياة الورع والتقوى التي أخذ بها نفسه جعلت حياته تسير في طريق الاستقامة المنتظمة الصالحة لذلك فإنهم يروون أن الشيخ قد احتفظ بصحة قوية معافية. في قامته المديدة وبسطة جسمه المتناسقة والشعر الغزير الذي يكسو حاجبه حتى يحجب عينيه ـ وهدوء نفسه الذي ينعكس في هدوء

---

(١) يطلق أهل الشرق السوداني الآن على دلك الحفير أو المنهل يطلقون عليه حفير الشيخ عجيب وصلاً لحاضرهم بذلك الإرث العتيد لا سيما وقد عادت الآن سواكن لتكون أحد أهم موانئ السودان والبحر الأحمر.

(٢) لايزال السودان يوالي الاهتمام بتلك المنشآت الوقفية بعد أن خصصت له هناك أرضاً شيد عليها عمارات حديثة مأوى وقفي للحجيج.

محياه وينعكس في كل ما يقول ويفعل كل ذلك مع بسالته ومضى عزمه وقوة شكيمته في الملمات.

لما عاد المانجل العظيم أحسنت العاصمة كعادتها استقبال حاكمها العظيم وأتت الوفود تترى من كل أنحائها ترحب بالمانجل العظيم..

ولكن.. ذلك كان مصحوباً بكثير من الألم والمرارة فإن الوضع في المشيخة أثناء تغيب الشيخ عجيب خارج القطر قد تعرض لكثير من الهزات. ذلك أن هزيمة جيش الفونج وما لحق ذلك من إيقاف كامل للعمل بالحلف العبدلابي الفونجي قد لحقته روح من العداء المستمر ـ لذلك فإن المعارك بين الجناحين الفونج والعبدلاب لم تتوقف. ومات نتيجة لذلك خلق كثير من الطرفين.

وكانت سلسلة تلك المعارك قد أخذت صورة قوية متواصلة في عهد ملك سنار في الفترة من سنة ١٦٠٠م إلى سنة ١٦١٢م عهد الملك عدلان بن أبة.. فإنه كان مصمماً على الانتقام لهزيمة جيوشهم في عهد عبد القادر الثاني. وقاد سلسلة متصلة من المعارك الصغيرة أنهك بها جيوش مشيخة العبدلاب.

وكان في ذلك الوقت ١٦١١م قد أعد عدته لإنزال الضربة القاصمة بتلك المملكة. لذلك جمع من الجيوش أضخمها ومن آلة الحرب أمضاها وأقدرها.

وعندما وصل الشيخ عجيب إلى عاصمته قرى كانت جيوش عدلان قد تحركت بالفعل في طريقها إلى (قرِّي).

أكدت الوفود للشيخ عجيب أنها لن تتخلى عنه ولن تستسلم ـ لذلك سارع الرجل العالي الهمة للأعداد فجمع كل جبوشه وأخرج نحاس ـ العبدلاب التقليدي نحاس (الشبلنكيت) الضخم المغنوم من ملوك العنج أخذت جميعاً تهدر بضربات النفير وفرسان القبائل المحيطة (بقرى) شاكي السلاح كاملي الدروع يدخلون خلف رايات السرايا. يتنبرون بأيام بطولاتهم ينشدون الأناشيد وخيلهم تقفز مع ضربات النحاس الهادر قفزات الحرب وصهيلها يشق العنان.

وبرز شيخهم الوقور إلى ساحة التجمع في (قرّى) برز شيخهم شاهراً سيفه المشهور المكنى (بالنمنم) فارتفعت السيوف تهز وبريقها يخلب الأنظار وارتفعت الأناشيد ـ وعلا هدير نحاس العبدلاب يحيى شيخ قرى في نغمة الحرب الكبرى المعبر عنها باصطلاح: ـ

الكبدة كبدة ألبل معروكة بي فلفل
عبد الله مقدمكم شر دماً يعسمكم
(ويكرر هذا المصطلح مترجماً بضربات النحاس).

فيحدث نغماً خاصاً هو إعلان النفير درجته القصوى. ويمتطي الشيخ الوقور صهوة حصانه وسنونه العشر بعد المائة تتوارى خلف أمارات الهمة العالية. وثبات النفس ومضاء العزم الذي طالما خاض به الحروب فهو صاحب قدحها المعلّى ابن بجدتها يجول ويتقدم الصفوف ولم تسقط رايته على مدى أكثر من نصف قرن من الزمان. خرج مارقاً في نفس مكانه عبر الزمان في مقدمة الفرسان والنمنم الأبلج الشهير عالياً مشهوراً في يمينه والدرق الفارسي في شماله ـ ودروع الحديد بصدره وقوامه

فشرعت رايات السرايا واندفعت الصفوف خلف القائد تزود عن (قرّى)..

وكان يوماً من أيام التاريخ. شهدته بقعة في موضع الجريف شرق الخرطوم حالياً تسمى (الدبكرة ود أبو عمارة) هناك كان جيش الملك عدلان قد عسكر في طريق زحفه نحو (قرى) وما أن رأوا رايات جيش (قرى) حتى أخذوا أماكنهم وأعدوا مواقعهم.

والتقى الجيشان ودارت معركة باسله تقاتل فيها الفريقان في إصرار وعزم.

وبرز الشيخ الوقور معجزة عصره يقاتل ويتنادى بأقوال البسالة والإقدام ويدعو الرجال للتقدم والثبات وهم من حوله يجتمعون في تلاحم.. يحمونه بقلوبهم وقوة سواعدهم - حتى أراد الله أن تُكتب النهاية لتلك الشخصية الفذة على صهوة حصانه في وسط المعركة وهو الذي بلغ العشرة بعد المائة. فلقد أصاب سهم قاتل الشيخ عجيب المانجلك فخر صريعاً. وكتب فصل ختام في حياة ذاخرة مفعمة بكل ما هو جدير بالتأمل والاقتداء.

وكان يوماً صعباً في تاريخ مشيخة العبدلاب غاب نجمهم الذي حسبوه نجماً متوهجاً إلى الأبد بلا أفول.. لذلك لم يتمالكوا أنفسهم فانتهت المعركة بهزيمة كاملة واستطاعت جيوش الملك عدلان أن تكتسح العاصمة (قرّى) وأن تسيطر على كل مناطق نفوذ مشايخ العبدلاب وتضمها إلى نفوذ الملك في سنار فثأرت كما أرادت للملك عبد القادر الثاني.

ـ الامباية الكبرى ـ

أداة النفير والجمع للجيوش في دولة سنار

وفر أبناء الشيخ عجيب إلى منطقة دنقلا إلى (حفير مشو) بالذات. حيث لا يزال هنالك فريق كامل في بلدة مشو من سلالة الشيخ الأمين ود عجيب ويعرفون هناك (بفريق العبدلاب)[١].

هكذا ولقد تولى المشيخة أكبر أبناء الشيخ عجيب بعد وصولهم إلى منطقة (مشو) بالقرب من مدينة دنقلا ولكنه لم يعش طويلاً تولى الرياسة بعده أخوه الشيخ محمد العقيل - وفي هذا الوقت تدخل الوسطاء من رجال العلم والصالحين الكرام لرأب ما حدث من صدع لتحالف الفونج والعبدلاب أساس دولة السودان المركزية الأولى.

كان على رأس هؤلاء الوسطاء الكرام الشيخ الولي الكامل الشيخ إدريس ود الأرباب: فاستطاعوا أن يجمعوا الطرفين مرة أخرى على أساس قواعد الحلف الذي اختطه أسلافهم الأبكار فعاد الشيخ محمد العقيل إلى عاصمته في (قرى) وبدأت المشيخة عهداً جديداً أتاح لتاريخ الوطن السوداني بالتعاون مع الجناح الآخر في المملكة في العاصمة سنار أن يستمر ويتصل حتى بدأت المطامع الأجنبية وغزت جيوش محمد علي باشا من مصر القطر السوداني فانتهكت سيادته واستقلاله لتقيم دولة الغزو الأجنبي المسماة بعهد التركية في السودان.

---

(١) الطريف أنهم مشهورون هناك بحسب الرطانة الدنقلاوية (بالعبدلانجى) واشتهروا بالتقى والصلاح ونبغ منهم فقهاء كثر وأهل علم وفكر واسهام كبير في تطور السودان الحديث في مختلف مجالات الحياة كما اشار لذلك العالم الفقيه الازهري المعروف «الشيخ محيي الدين الدنقلاوي» نسباً والشاذلي طريقة.

ضريح الشيخ عجيب المانجلك: ـ

سلام على هذا الضريح المبارك

سلام على قطب العلا والمعارك

هكذا صدح شاعر العبدلاب واقفاً مع الألوف يلقي نظرة على الضريح الذي حوى في داخله رب القنا والكتائب بعد حياة حافلة ذلك أن الشيخ عجيب المانجلك عندما سقط صريعاً في ساحة الوغى التفت به الفرسان وحملوه إلى داخل بلدة (الدبكرة ود أبو عمارة) موضع الجريف شرق (الحالي) شرق الخرطوم وحافظ الناس هناك على جثمان ذلك البطل. وكان الحزن لفقده عاماً لسيرته الحميدة طيلة عهده.. حتى وإن الكتب القديمة أشارت لذلك العام بأنه كان عام حزن أليم قص فيه الرجال والنساء الشعر من رؤوسهم وكان هنالك مثل سائر يقول (ما فضلت قصة بعد عجيب).

وأخيراً نقل الجثمان إلى العاصمة (قرى) حيث أقيم ضريح خاص بنيت عليه قبة مهيبة. وكان يوماً مشهوداً حين ووري عجيب المانجلك الثرى بكاه الرجال والنساء ـ وأنشدت قصائد الرثاء: وقد قال شاعرهم يرثيه: ـ

سلام أبا الفرسان يا جد

إننا قضينا أياماً صعاباً حوالك

عجيب سلام الله يغشاك دائماً

بروح وريحان وطيب الملائك

فنم في جوار ربك هانئاً

مع الحور والولدان فوق الأرائك

وانتهت بذلك تلك الحياة الحافلة ولكن ذكرى ذلك الرجل العظيم بقيت دائماً إحدى المنارات المتوهجة الضياء في الطريق الطويل الذي كان عليه مسير التاريخ في تطور الوطن السوداني عبر الأجيال.

ولا تزال هناك على بعد ستين كيلو متراً شمالي الخرطوم بالقرب من جبل جاري تشمخ القبة التاريخية تضم في حناياها منذ سنة ١٦١١م رفاة البطل السوداني الملك عجيب المانجلك ولا تزال بلدة (قرى) التي كانت يوماً عاصمة حافلة لا تزال هناك في موضعها تضمخ أنحائها عطر الذكريات وأهلها الطيبون يستقبلون في حفاوة كل قادم يسردون عليه في شغف تطور الحياة منذ القديم على ثرى وطنهم..



في قرية قرّى

مشهد أمام مثوى الشيخ عجيب المانجلك

المؤلف وبعض أحفاد الحاكم السوداني التاريخي في أول توثيق فوتغرافي لهذه المنطقة التراثية

مخطوطة تاريخية عن ملوك العبدلاب

هذا مدخل تعريف بهذا المخطوط ـ كنت نشرته بمجلة الخرطوم عدد ديسمبر ١٩٦٧.

هنالك دافعان لهذه الدراسة ـ دافع قريب وهو ثانوي ـ ودافع بعيد هو الأصل الدافع القريب الثانوي هو تلك العبارات التي صرح بها مسئولون في بعض البلاد العربية بمناسبة الموقف السياسي[١] البارز الذي اتخذه السودان في أحداث الشرق الأوسط الأخيرة ـ بأن السودان يبرهن بتلك المواقف الأخيرة على عروبته؟ ـ وبالنسبة لنا في السودان ونحن[٢] خمسة عشر مليوناً من الأنفس وقطرنا أكبر الأقطار العربية على الإطلاق مساحة زيادة على وضعنا الأفريقي والدولي عبر التاريخ فما كنا نعتقد أننا في حاجة لتأكيد عروبتنا لأحد إلا إذا كان كل من ينتمي للعروبة بحاجة (لبراهين) للتدليل على عروبته ـ وعلى أي حال أن العروبة ليست صلة عرقية وإلا فإن الكثيرين ممن يدعونها اليوم سيخرجون عنها ـ وإنما هي الآن تعبير حضاري لعلاقة نضال مشتركة لحلقة إقليمية من حلقات التحرر الوطني وإعادة صياغة أوطان فرض عليها التخلف طويلاً هذا هو إذن الدافع الأول.

---

(١) مؤتمر اللاءات الثلاثة إثر هزيمة ١٩٦٧ بالخرطوم.

(٢) الاشارة لتعداد أهل السودان في ذاك العام.

أما الدافع البعيد الأصيل فهو الإسهام بجهد المقل في حركة البحث والتنقيب على أساس الاستقراء واستخراج الدروس والعبر حتى تجد خطط الباحثين والمسهمين في صنع وجه السودان الجديد مادة متكاملة تشير لبعض النفائس والذخائر التي حواها هذا الثرى على تعاقب أجيال أبنائه منذ أن كان للسودانيين بين العالمين وطن..[١]

قيمة الوثيقة الجديدة:

لا شك أنه (على الجانب الأكاديمي) لا يزال تراث الوطن مدفوناً في مظانه: يصدق ذلك على كل جوانب البحوث ابتداء من العلوم التجريبية إلى العلوم الإنسانية: ابتداء مما تنبت الأرض في السودان وما تحمله في باطنها وما يحيط بها إلى تراث الإنسان السوداني نفسه في كل جوانبه.

ولذلك فإن المادة الأولية أو الوسيلة الحية تعتبر في هذه المرحلة موضع احتفاء خاص لدى الباحثين في كل حقل.

وأما إذا كان ذلك الحقل يتصل بنفس التراث البشري كالتاريخ فإن الحفاوة في رأيي تكون أخص. ذلك أن تاريخنا الحقيقي لا يزال يحتاج للجهد العظيم الجاد تنقيباً وتصفية وتنقية واستقراء خاصة وأنه كان الحقل الأساسي الذي استهدفته مصالح أعداء الوطن السوداني على الصعيد الفكري والأدبي فأشبعوه مسخاً وبتراً وتشويهاً[٢] منذ استهدفت جيوش الغزاة هذه الديار طمعاً في أهلها وأرضها خاصة في فترتي حكومة التركية السابقة

---

(١) هذه المخطوط لم تنشر من قبل.

(٢) هذه القصية مثارة منذ عام ١٩٣٢ وحتى الآن.

عهد محمد على وأبنائه وعهد الحكم الثنائي الذي أضاف الانجليز لقائمة الطامعين المسهمين في التشويه والمسخ أن جهلاً وإن غرضاً ـ وكلاهما كان متوفراً في باحثي هاتين الحقبتين وكلهم من الأجانب.

ولا أعرف من العلماء السودانيين الذين وعوا كل ذلك ثم تصدوا في هذا الميدان يحاولون إيقاف عبث الأجانب وتعديهم ـ لا أعرف أبرز من المؤرخ السوداني الحقيقي الدكتور البروفسير مكي شبيكة ـ نهض بذلك بدافع نبيل أصيل ودون جلبة ولا ضوضاء ـ تصدى (في ميدانه) لعبث المغرضين.

أقول أن هذا العالم المتخصص بالفعل والحقيقة في هذا الميدان تصدى بدافع نبيل ودون جلبة ولا ضوضاء ـ تصدى (في ميدانه) لعبث المغرضين ذوي الغرض من المؤرخين الأجانب؟ ومتى كان ذلك؟

كان ذلك في أوج سلطان هؤلاء الأجانب الحكام في أوج سلطانهم وتجبرهم في أوائل الأربعينات حين كان مجرد مطلب الاستقلال الوطني حلماً يطوف في مخيلة الرواد الأوائل القلائل ـ لم يتحول إلى عقيدة نضالية إلا عند القلة القليلة من قادة النضال الوطني ـ على الصعيد السياسي ـ وتعرف أجيال المتعلمين السودانيين وجه ذلك المؤرخ السوداني الدكتور شبيكة يطل عليها من ثنايا (السودان في قرن)[١] تعرف النغمة العميقة التي تحاول أن تخرج من ثنايا ظروف القهر الأجنبي فتقول هذا تاريخ الآباء والأجداد فعضوا عليه بالنواجز ـ لقد تفاعلت نفوس أجيالنا مع

---

(١) الإشارة للدكتور مكي شبيكة يرحمه الله.

الروح الجديد مع نغم السودان في قرن وهو يقول الحقيقة على ثري وطننا بكل الدم والدموع بكل الانتصارات والانهزامات ولكن في (قالب استطاع أن يخرج بالحقيقة من ثنايا الظروف القاهرة المحيطة واستطاع أن يؤدي الرسالة (أن يصل بحق إلى القلوب) رغم مشقة الطريق[1]. تصدى لعبثهم لا بالنعيق ولكن بأسلوب العلماء ولج الميدان معهم باحثاً ومنقباً محاولاً العثور على الحقيقة الأصيلة في كل المظان ـ فألف في تاريخ السودان الكتب وكتب المقالات وألقى المحاضرات: ثم تصدى لتحقيق المخطوطات والوثائق على أساس أداة التحقيق العلمي فعل ذلك باللغتين العربية والانجليزية ولا يزال يواصل دون جلبة ولا ضوضاء رسالته ـ مما مكن بالفعل أن تكون للسودان في مجال الدراسات الخاصة بتاريخه حصيلة سودانية علمية أصيلة تشكل ركيزة نعتز بها في هذا المجال. . وستظل أجيال كثيرة لاحقة من المتعلمين تعرف للدكتور شبيكة هذا الفضل كما عرفته ووعته أجيالنا الحاضرة أعانه الله عى المضي في طريقه العظيم.

لقد كان من أهم مصادر الحقبة المسيحية ـ في المقرة وعلوة ـ أخبار ونوادر وشذرات يرويها رحالة جوابون قادمون من الممالك المجاورة في الحبشة أو مصر كما فعل المقريزي معتمداً على كتاب ابن سليم الأسواني ـ وكما فعل المسعودي في سنة ٩٤٤م وابن الأثير سنة ١٠٠٧م وكما نجد في كتاب الفتوحات للبلاذري ولمحات عند القزويني ثم كتابات المتأخرين كالليث بن سعد وغيرهم: تحدثوا أما أثناء اجتيازهم الديار مسافرين وأما فيما

---

(١) الإشارة للقهر الذي فرضه المستعمرون البريطانيون.

كان يصل إلى علمهم بعد أن بدأت الفتوحات الإسلامية تطرق أبواب مصر حاملة معها العروبة والإسلام ومتجهة نحو الجنوب نحو النوبة العليا وما يليها.

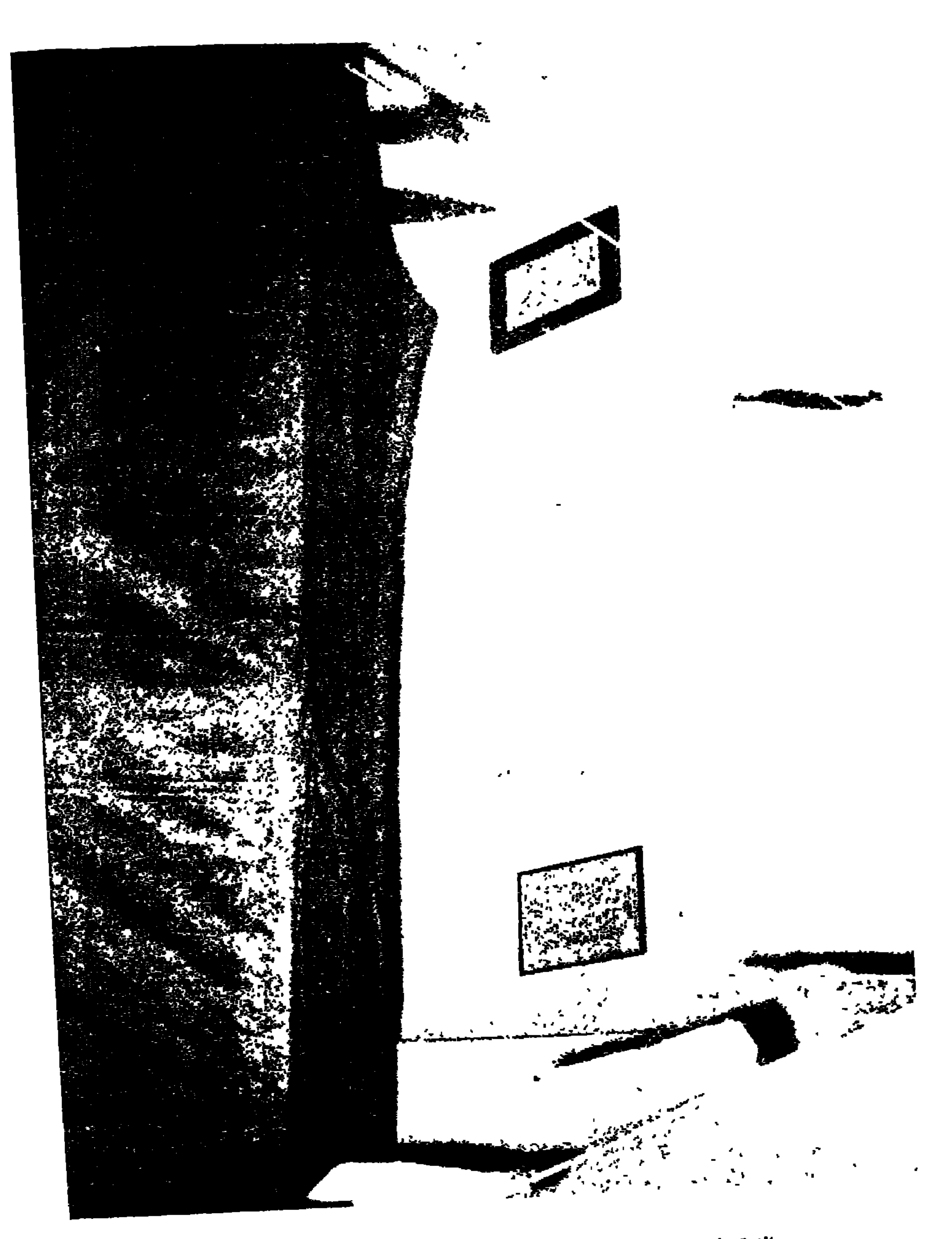
أما الحقبة التي تليها حقبة مملكة سنار أو دولة الفونج فقد أضيفت إلى جانب هذه المصادر ـ الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان كما أضيفت مخطوطة كاتب الشونة ـ الشيخ أحمد بن الحاج أبو علي عن تاريخ السلطنة السنارية والإدارة المصرية ـ تلك المخطوطة التي أثارت نسخها المتعددة واختلاف عباراتها كثيراً من الجدل في مدى ما لحقها من تصرف بإضافات وحذف من الناسخين والكاتبين ـ ولقد كان تحقيق دكتور شبيكة لتلك النسخة الموجودة في لندن ونشرها بعد التمحيص الدقيق إضافة كبرى جعلتها أدعى هذه النسخ للطمأنينة لتمكن الأستاذ من المادة وأداة البحث العلمي ولأنه قبل ذلك السوداني الوحيد بين من تصدوا أخيراً للتحقيق فكانوا جاهلين بطبائع البلد وعادات أهله وألقاب وأسماء مدنه وبلاده كما نجد عند الشاطر البصيلي[١].

وكان نصيب ـ العبدلاب ـ وهم الشق الآخر في تأسيس مملكة سنار نفس القدر من شح المصادر زيادة على التركيز المستمر حتى فيما وصلنا من شحيح المصادر على ملوك الفونج. وأصبح تاريخ العبدلاب والبطون العربية الأخرى لا يزال يحتاج بشكل أخص للمزيد من الضوء[٢].

---

(١) النسخة مودعة بمكتبة السودان جامعة الخرطوم.

(٢) كل الدراسات حول هذا الموضوع أخذت مما نشرناه عام ١٩٦٧ بمجلة الخرطوم.



القبة القديمة لضريح الشيخ عجيب المانجلك بقرية قرّي

فإذا عثرنا اليوم على بصيص من ضوء يمكن بعد المزيد من التحقيق أن يلقى ضوءاً كثيراً على تاريخ العبدلاب الشق الآخر للدولة السودانية على عهد مملكة سنار فإننا لا بد أن نولي هذا الخيط اهتمامنا العظيم لا سيما إذا كان مصدر ذلك من يهمه أن يهتم ويمهد للحصول على ذلك التاريخ مفصلاً وممحصناً من الضياع.

كان ذلك شعوري عندما عثرت في خزينة شيخنا الشيخ عثمان محمد أونسه على مخطوطة عمه الشيخ الأرباب الحاج عبد الله الحسن شاور عن أجداده ملوك العبدلاب وعندما عثرت على وثيقة مصورة لوقف ملوك العبدلاب بالمدينة المنورة ذلك الوقف الذي كان قد ذكره شقير في صفحة ٩٩ الجزء الثاني من كتاب تاريخ السودان وذلك أثناء ترجمته لثاني ملوك العبدلاب الشيخ عجيب المانجلك حيث قال بالحرف الواحد ـ وهو الذي بنى بالمدينة المنورة المنازل المعروفة برواق السناريين بناها بإذن السلطة العثمانية فجعلها وقفاً للحجاج من أهل سنار وهي ما تزال مأوى حجاج السودان إلى هذا العهد. . انتهى حديث شقير[١].

أقول بهذا الشعور تصفحت هذه المخطوطة القيمة وتلك الوثيقة المصورة وبدافع أن ألقى إلى ميدان التحقيق العلمي والمادة التاريخية السودانية الأصيلة بمصادر أخرى جديدة يشرفني أن أقوم بهذا العرض واثقاً من أنه سيسهم في كشف النقاب عن تفاصيل أخرى لحقت مملكة سنار وتاريخ العبدلاب والقبائل العربية في السودان.

---

(١) تراجع طبعة عام ١٩٠٣ المؤلف نعوم شقير = تاريخ السودان وجغرافيته

١ ـ أن المخطوطة أثر تاريخي تشكل مصدراً أصلياً بالنسبة لمادة نلك الحقبة فيما يختص بملوك العبدلاب وقبيلهم بوجه خاص. وبالنسبة للقبائل العربية الأخرى التي كانت تدين للعبدلاب بالرياسة ونعتبرهم «على الأقل» الممثلين لها في حلف سنة ٩١٠هـ سنة ١٥٠٥م بين عمارة دونقس زعيم الفونج وعبد الله جماع زعيم القواسمة وأب (العبدلاب) فيما بعد وهي مخطوطة توارثها أحفاد تلك الشجرة من ملوك العبدلاب وحرصوا على إحاطتها بالعناية.

٢ ـ وأنها بوصفها مصدراً حياً.

تستحق الاحتفال العظيم لا سيما في محيط الباحثين والدارسين والمحققين وإنها تنتظر أداة البحث العلمي المحقق لتصل بها إلى مكانها بين المخطوطات المحققة.

٣ ـ أنه لا خلاف في أن تاريخ السودان شأنه كل أوجه الحياة والنشاطات الأخرى لا يزال في أمس الحاجة لكل جهد يغيل عثرته ويسلط أي قدر من ضياء على الظلال التي تحيط به.

٤ ـ وإنه لذلك ـ وفي تلك الحدود ـ فإن حقيقة كون أن المخطوطة أثر يمتلكه العبدلاب ويركز بالتالي على قبيلتهم وملوكهم لا يمكن أن يقلل من قيمة المخطوطة تاريخياً أو علمياً بل على عكس ذلك فإن هذه الحقيقة تدفع الباحثين والمحققين لمزيد من الجهد والتدقيق.

لا سيما وفي هذا المجال بالذات مجال «التاريخ للسودان» فإن الغالب الأعم من المصادر التي بنى عليها السرد التاريخي من أقدم الحقب وحتى القرن التاسع عشر كانت مصادر أجنبية

شكلت صياغة ذلك التاريخ كما أرادت لها أغراضها والأهواء أو كما صوره لها ـ على أحسن الفروض ـ جهلها بالبيئة وأهلها: وشح المصادر التي يطمئن إليها تماماً[١]. . ويكفي أن أذكر أن كتاباً ككتاب إبراهيم فوزي باشا المسمى (السودان بين يدي غردون وكتشنر) لا يزال يشكل أحد مصادر السودان رغم الأسفاف والسخف الشديد الذي يطل من كل سطوره[٢]. وأن تحامل من أرخوا للسودان مهما كانت دوافعهم. لم يحجب ضياء حقائق التاريخ أمام الذين جهدوا في التحقيق والتمحيص في محاولات إعادة صياغة تاريخنا بنزاهة وأمانة ـ ولذلك ـ فإن قيمة وثيقة العبدلاب لن يمس مكانها السامي كونها أثر هم أصحابه الأولون.

الجديد في هذه الوثيقة:

قبل أن نبدأ في عرض مادة المخطوطة بكل تفاصيلها أرى أن نحدد ـ ما أتت به من جديد بالنسبة للحقبة التي أرخت لها الحقبة منذ الشيخ عبد الله جماع كل فترة مملكة سنار وكل حقبة حكومة التركية السابقة ثم حقبة الثورة المهدية ثم عهد فتح السودان أو الحكم الثنائي أي لأكثر من ثلاثة قرون (أربعة قرون إلا قليلاً).

---

(١) أما ما يأخذه الناس على بعض من كتب السودانيين أنفسهم خاصة في مراحل ما بعد تحقق الاستقلال الوطني وتوفر مناخ الحرية والجد فيرجعه الكثيرون للمؤثر الفكري والثقافي الأجنبي الذي بقي يحكم الرؤى.

(٢) هذا الكاتب مصري من أصل تركي كان جاء السودان ضمن جنود الغزو المصري التركي ولكنه سقط أسيراً لقوات الثورة المهدية وبقى أسيراً لسنوات طوال فتضاعفت مشاعر الكراهية للسودان وأهله لديه

أولاً: ركزت المخطوطة على الملوك العبدلاب في سلسلة متصلة منذ رائدهم عبد الله جماع وعبر كل تلك الحقب حتى يومنا الحاضر ـ وحتى عندما انتهى الملك أو الرياسة فإن المخطوطة تابعت السرد على أساس من تراه هو رأس القبيلة ووارث بيت ملكها وهو لذلك محط أنظار أهله فهو ملكهم حتى وإن سلب التاج أو حلة الرياسة كشكل طقوسي أو اعتراف رسمي حكومي.

ومن خلال التركيز على الملوك والشيوخ والرؤساء وعهود رياساتهم كانت الأضواء تلقى على الحياة في وجوهها الأخرى في كل عهد من تلك العهود.

ثانياً: إن المؤرخين للسودان منذ أقدم العصور وحتى تاريخه الحديث فيما طبع أو نشر حتى اليوم يكادون يسيرون على نمط واحد في الاتفاق على خطوط عامة خاصة ـ ككيفية دخول العرب كقبائل إلى السودان ـ وازدهار ونهاية المملكتين المسيحيتين ـ ولكن ـ لا يرجع ذلك إلى بداهة الحقيقة التاريخية التي توصلوا إليها جميعاً بقدر ما يرجع إلى شح المصادر وندرتها وبالتالي اعتماد المؤرخين اللاحقين على المعلومات البسيطة المتوفرة لمن سبقه دون أن تتاح له فرصة عرض كل الذي اصطلح على أنه (حقائق) على مجهر فحص وتدقيق شامل وكبير مستعيناً بمصادر لم يحظ بها ذلك النفر القليل (طالما) كان معلوماً أن تاريخ السودان لم يعن به منذ البداية القادرون والمؤهلون، وإن مصادر القلة القليلة التي بدأت ذلك التاريخ لا ترقى لدرجة من الوفرة أو الاستوثاق بدرجة تجعل اللاحقين يبنون أحكامهم ومناهجهم على أساس ما اعتبرته تلك القلة (حقائق التاريخ على

أرض السودان) ويمكنني القول هنا بأنه وإن اختلفت الصياغات وترتيب المواد في كل الذي ألف من كتب «بعد صدور كتاب نعوم شقير» لم يأت بجديد يذكر[1]. لم يكشف عن أي حقيقة هامة جديدة أو حتى يخضع مادة شقير للتمحيص الدقيق باعتبار الصفة التي أتى بها ذلك (المؤلف) للسودان ونوع الدائرة التي عاش فيها إلى جانب اختلاف المزاج وقسوة ظروف تلك الحقبة كلها تشكل بواعث تجعل الطمأنينة الرخوة لما جاء به ليست القاعدة المثلى ـ خاصة على جانب المؤرخين والمحققين وواضعي المناهج الدراسية من السودانيين أنفسهم وخاصة في ظروف ما بعد الاستقلال الوطني ـ ولا يهدم هذا «الشك العلمي الضروري» حقيقة كون شقير في مؤلفه كان أقرب تلك القلة الأولى من المؤرخين للسودان للاقتدار وكان أكثرهم جهداً واجتهاداً وأحسنهم لهجة في الصياغة. (وهذا يختلف عن أخذ ما أتى به كمسلمات نبني عليها حياتنا لكل ما ذكرت من أسباب)[2].

وفي هذا المضمار مضمار إتباع كل ما كتب بعد شقير على الهيكل الذي كان قد بنى عليه تاريخ السودان في اختيار بدايات حقبة ونهاياتها والإسهاب في المواضع التي أراد لها ذلك مع الاختصار أو مجرد الإشارات للمواضع التي رأى أنها لا تستحق أكثر من ذلك. أذكر ونحن بصدد هذه المخطوطة ملاحظتين ولنسمها (أ) و (ب).

---

(١) وهذا ما توصل إليه علمياً وعملياً ميدانياً العالم الأثرى الالماني الشهير «فرتز هنتره».

(٢) وهذا إتجاه يحسب لنعوم شقير فهو الأكثر موضوعية.

● **الملاحظة (أ) عن الحلف السناري أو التحالف الاتحادي:**

وأعني به تحالف الفونج والعبدلاب الذي على أساسه قامت دولة السودان أو مملكة سنار أو مملكة الفونج الخ أوائل القرن السادس عشر.

لقد جرت كتب التاريخ التي تعرضت للحقبة (١٥٠٥م - ١٨٢١) حقبة الدولة السودانية على عهد ملوك سنار على اعتبار أن ذلك الحلف لم يكن بين «ندين» وإنما كان أحد طرفيه وهو عمارة دونقس في موضع أسمى من حليفه الطرف الثاني عبد الله جماع - ولذلك نص الحلف على أن عمارة دونقس وسلالته هم الملوك بينما يبقى عبد الله جماع وسلالته في درجة تلي هذه الدرجة في حكم المنطقة الخاصة بهم.

جرت كتب التاريخ التي أتت بعد نعوم شقير على هذا الفهم لطبيعة ذلك الحلف الذي قامت عليه دولة السودان في تلك الحقبة الطويلة ٣١٦ سنة.. فقد ذكر شقير في صفحة ٧٢ (١) (ج - ٢) عند تعرضه لهذا الحلف: -

«ولما تم النصر لعمارة وعبد الله على النوبة اتفق رأيهما بأن يكون عمارة هو الملك الأعظم في مكان ملك سوبة لأنه الكبير والمقدم ويكون عبد الله بعده في مكان ملك قرى ويلقب شيخاً.. الخ الخ.

وكان شقير قد أخذ ذلك عن رواية «صاحب تاريخ الفونج» الشيخ عبد الدافع - واطمأن لها وأسس بعد ذلك كل افتراضاته في تقييم نفوذ طرفي الحلف، ذلك أن مصادره «الأصلية» من المخطوطات وغيرها بما فيها كتاب الطبقات كانت تركز على

جوانب أخرى من سيرة الملوك أو الصالحين دون التعرض الحاسم لنقطة (تقييم) طبيعة ذلك الحلف الهام.

وعلى أساس قناعة نعوم شقير بالنسبة لهذه النقطة جرت كتب تاريخ السودان.

فأستاذنا الدكتور مكي شبيكة بصياغته التي أصفها بالصياغة «الام» لإعادة كتابة تاريخ السودان على أساس النزاهة والإنصاف لم يختلف من ناحية الجوهر في هذه «النقطة بالذات» مع ما توصل إليه شقير في طبعة (السودان في قرن) الثالثة سنة ١٩٦١ حيث يقول في الصفحة الأولى:

(تحدثنا المصادر القليلة التي تروي لهذه الحقبة عن حلف قام بين قبيلة عربية وعلى رأسها عبد الله جماع وشعب آخر عرفوا بالفونج يقطنون في الجزيرة حوالي سنار وما يليها جنوباً والظاهر أنهم كانوا أهل ملك وسلطان قبل هذا الحلف لأن ملكهم عمارة دونقس كان المقدم على حليفه عبد الله.).

كما وأن مخطوطة تاريخ ملوك السودان للدكتور شبيكة أيضاً رغم المزيد من التفاصيل التي حوتها فإنها لم تخرج في هذه «النقطة» بالذات عن نفس التقييم.

ويمضي ذلك التقييم متبعاً نمط نعوم شقير فنجد في كتب المناهج المدرسية في تاريخ السودان، نجد في صفحة ٤٣ من مرجع المدرس «لكتاب تاريخ السودان من أقدم العصور» طبعة سنة ١٩٦٧ الآتي: -

«تم الاتفاق بصورة من الصور بين عمارة دونقس زعيم الفونج وعبد الله جماع رأس قبيلة القواسمة على السير شمالاً

واكتساح سوبا والاستيلاء على ملكها، ويظهر من الاتفاق أن عمارة كان المقدم على عبد الله جماع» الخ.

ويمكن أن نمضي في تعقب هذه النقطة في أغلب كتب التاريخ التي جاءت بعد كتاب شقير فنجدها (تطمئن) إلى ما توصل إليه.

ورغم الوعورة والندرة في المصادر الثقة خاصة «المنشورة» إذ أن الطبقات كما هو معلوم لا تشفي غليلاً في مثل هذا التحديد - كما وأن مخطوطة كاتب الشونة اهتمت فقط بسيرة ملوك الفونج أنفسهم وحتى الحلف ذاته لم يحظ إلا بإشارة عابرة كما نجد - مثلاً - في صفحة سبعة من المخطوطة كما أوردها شاطر بصيلي ما نصه: -

(فنزلوا في موية وقطع أشجارها الملك عمارة دونقس وهو أولهم وصار ملكهم بها بعد أن قاتل الفونج مع عبد الله القريناتي القاسمي أبي عجيب الخ).

بل ونجد نصاً كما أورده هذا (الشاطر بصيلي) في نسخته يعترف بأن كاتب الشونة ليس في موضع تقييم ذلك الحلف لأنه لا يعرف الكثير عن الطرف الآخر: «العبدلاب» فنجد في صفحة ٨٣ ما نصه: -

(وأما دولة العبدلاب والسعداب عدم ذكرنا لهما لعدم إطلاعنا على أحوالهم. أو لأنهم كانوا ملكاً واحداً.

ومهما كان عدم اطمئناني لنصوص يوردها هذا الكاتب «البصيلي» لحرصه دائماً على تفسير تاريخ السودان كما يريد أن يفهمه فإن ما نقلناه هنا عن مخطوطة كاتب الشونة أدعى

للصواب.. وتخرج من ذلك بنتيجة هي: ضيق المصادر وندرتها مما يجعل «الميل» للوقوف عند القدر المتاح «أسهل» المواقف ولكنه قطعاً ليس الموقف «الأمثل» في مقام إيقاف تاريخ السودان على عمد. أصلد وأغنى مصادراً مهما كان الطريق إلى ذلك وعراً (بمعيار جهودنا حتى اليوم: وهي محدودة وغير طموحة..

أقول: ونحن بصدد هذه المخطوطة الجديدة في ناريخ العبدلاب بأن هذه الملاحظة التي أسميناها الملاحظة (أ) عن الحلف السناري والتي أكدت النفوذ القوي الذي نالته أحكام (نعوم شقير) التي أطلقها في كتابه عن تاريخ السودان. كما يدل على ذلك تعقبنا لهذه النقطة في الكتب السودانية التي صدرت بعد شقير على اختلافها بما فيها الكتب المدرسية. أقول أن المخطوطة الجديدة وربما لأول مرة تتصدى لهذه النقطة بصورة أخرى تختلف تماماً عما تعارفنا على أنه حقيقة التاريخ حسبما أفهمنا إياها شقير.

تقول المخطوطة في نقطة تقييم النفوذ الذي عبر عنه الحلف السناري بالنسبة لقيمة كل طرف ما يأتي في مجال الحديث عن (عبد الله جماع) تقول المخطوطة:

«إن الشيخ عبد الله جماع بن السيد محمد الباقر لقب بجماع لجمعه القبائل وهو من أشرف بيوت العرب في السودان وكانت الرئاسة والسيادة لأجداده وكان رَجلاً عظيماً عالي الهمة، طموحاً للمعالي فاستطاع بما أوتى من الرأي السديد والغيرة الدينية استمالة جميع قبائل العرب الموجودة في السودان وتوحيد كلمتهم تحت سلطان يدير شؤونهم ويسلك بهم سبل الرشاد.

وينقذهم مما كانوا فيه من العنف الشديد الذي أحاط بهم من ملوك العنج (فبايعوه) على محاربة العنج وصار يفتح مداينهم الواحدة بعد الأخرى.

حتى تقول المخطوطة مواصلة الحديث:

ثم رأى (أي عبد الله جماع) أنه من الأوفق أن يتعاهد مع ملك الفونج المسمى عمارة دونقس المقيم بجبال الفونج بجهة لول. وتعاهدا على أن يمده ملك الفونج بنجدة من عساكر وتجهز بجيوش جرارة من قبائل العرب وتقدم لحرب العنج، الخ.

وتستمر المخطوطة تتحدث عن المعارك الهائلة التي جالد فيها عبد الله جماع العنج كقائد رئيسي للفونج وللعرب حتى انتصر وبعد ذلك نظم مع الفونج طريقة اقتسام الأسلاب على أساس النفوذ الفعلي فماذا قالت المخطوطة، في هذا المقام، تقول المخطوطة: «ثم اقتسما الملك فكانت الجزيرة (فقط) لعمارة دونقس الذي انتقل من الجنوب أي من جبال الفونج مقر مملكته واختط سنار عاصمة له وجميع أجزاء السودان الأخرى للشيخ عبد الله جماع فاختار مدينة قرى عاصمة لمملكته الشاسعة وكانا (متفقان) إلى أن توفاهما الله تعالى وملك عبد الله جماع ستين سنة وتوفي في أوائل القرن التاسع رحمه الله الخ الخ وهكذا.

فلا يوجد هنا مجال لاستنتاج شقير في تقييمه الذي ذكرناه للحلف بأن عمارة دونقس هو (الملك الأعظم) إلى آخر ما قاله وينسحب ذلك على الأحكام الأخرى التي بنيت على أساس بنيان شقير هذا الذي رأيناه؟

فأستاذنا (شبيكة) يتحفظ في إطلاق الحكم عندما يضع كلمة

ـ الظاهر ـ قبل أن يقول:

(إن ملكهم عمارة دونقس كان ـ المقدم ـ على حليفه عبد الله جماع)

ولكنا نرى الآن أن الصورة تأخذ أبعاداً أخرى لا تمكن حتى من هذا التصور في تقييم أطراف الحلف.

ولا بد أن أضيف الآن أن هذا التقييم الجديد لحلف العبدلاب والفونج الذي شكل الأساس التحالفي لمملكة سنار يمكن أن نستبين نقاطه كما ترويها المخطوطة بطريقتها الجديدة وبيدي الآن هذه النقاط محددة ولكن يكفي الآن هذا بالنسبة للملاحظة الأولى (أ) حتى ننتقل إلى الملاحظة الأخرى (ب).

الملاحظة (ب)

وهي بخصوص حادثة أحمد باشا أبو ودان، وهو أحد رجال محمد علي باشا الذين حكموا السودان في دولة التركية جاء من مصر برتبة (ميرميدان) ووصل في السودان رتبة الحاكم العام (حكمدار) وهو شركسي الأصل ومن مماليك الباشا محمد علي:

تقول الرواية الموجودة حتى الآن في كتب التاريخ في السودان في تفصيل الحادثة إن هذا الشركسي سولت له نفسه أن ينفصل بحكم السودان عن دولة (محمد علي) وكاتب سلطان تركيا في ذلك عارضاً عليه تسليمه السودان على أن يعترف (بأبي ودان) هذا والياً من قبل السلطان نجد أن هذا التفسير للحادثة في كتاب (السودان في قرن) صفحة ٤٧ بهذه الرواية تقريباً إذ يقول بالحرف الواحد:

«بدأت الإشاعات تحوم حول نيات أحمد باشا عند رجوعه

من كسلاً وقيل أنه يريد أن يفصل السودان من حكومة محمد علي ويضعها تحت سلطة تركيا، ويعين هو والياً كمحمد على نفسه في مصر وقد تحدث (وورن) الألماني الذي كان معه في كسلاً بأن الباشا كان يسهر ليالي بأكملها يفكر في هذا الأمر، الخ».

وعلى هذا المنوال نفسه مضى الكتاب المدرسي (تاريخ السودان من أقدم العصور).

وكان شقير قد ألمح لذلك أثناء ترجمته لفترة ولاية أحمد باشا أبي ودان لحكمدارية السودان إذ قال خاتماً لها ما نصه:

«وكانت وفاته بغتة حتى قيل أنهم دسوا له السم ليتخلصوا منه لأنه كان يحاول الاستقلال عن مصر» الخ..

(أنظر ذلك صفحة ٢٧ الجزء الثاني لشقير) (١).

تتصدى المخطوطة لهذه الحادثة فتسوق لها تفسيراً مفصلاً جديداً فتقول المخطوطة:

«كان من عادة حكمدار الخرطوم أنه إذا خرج في حرب أخذ معه رؤساء قبائل السودان وكثيراً ما كان يأخذ معه الشيخ إدريس وهو ابن الشيخ محمد بن الشيخ ناصر (في سلسلة ملوك العبدلاب ـ وتعتبر المخطوطة الشيخ محمد ملكاً بعد أبيه رغم سقوط القطر في أيدي الترك) لثقته فيه ومما يحكى أنه خرج إلى حرب البازه وعربان الصبح بالتاكا فلما قربوا من العدو ونصب لأحمد باشا خيمة بالقرب من جبل وتخلف بها هو ومشائخ السودان وأرسل القوة لقتل العدو ـ فلما رأى العدو انفراد الباشا ومن معه علا بعضهم الجبل وصاروا يلقون عليهم الصخور فتدحرجت صخرة عظيمة من تلك الصخور إلى أن اقتلعت أوتاد

الخيمة وفزع الباشا ومن معه من المشايخ وفروا هاربين ما عدا الشيخ إدريس فلم يفارق مجلسه فلما أزيل العدو من الجبل ورجع الباشا إلى مكانه عاتب الشيخ إدريس لتعريض نفسه للهلاك. فقال الشيخ إدريس باللفظ الدارجي: «الما بناك ما بكسرك» أي قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا.

أما الجيش فسار غير بعيد فوجد كميناً من العربان واختلطوا بهم وانهزم الجيش بادىء الأمر وسار المنهزمون حتى وصلوا إلى الخيام بحالة منكرة فلما رآهم الشيخ إدريس على تلك الصورة سار إلى حصانه وجرد سيفه وحمل على العربان حملة منكرة ووضع فيهم سيفه وجال فيهم يميناً ويساراً إلى أن أجلاهم من موقفهم وأخذ منهم المدفع الذي أخذوه أولاً عند انهزام الجيش، ولم يتعقبهم هو ومن معه إلى أن تفرق جمعهم.

فسر الحكمدار منه سروراً عظيماً، من شجاعته ونجدته النادرتين وتأكد له إخلاصه وكبر في عينه، وقرب في منزلته وصار منه كالروح للبدن ولما صار على تلك الحالة من المحبة والإخلاص أطلع الشيخ إدريس على صورة المكاتبة التي كانت بين الشيخ عجيب الثالث ـ وعظمة السلطان سليم في الانفراد بحكم السودان والحكومة المصرية متعدية عليك وظالمة لحقوقكم، ثم اتفقا على إرسال هذه المخاطبات (ومعه) التاج الذي استحوذ عليه أجداده من ملوك العنج إلى سلطان استنبول وطلبا منه أن يكون السودان تابعاً لدولته العلية رأساً، وأن يكون الشيخ إدريس نائباً عن السلطان في بلاد السودان وقبل وصول هذه المكاتبة اكتشفت المؤامرة وأرسلت الحكومة المصرية جيشاً وحكمدارا آخر للقبض على أحمد باشا الحكمدار المتآمر،

وإرساله إلى مصر فلما علم بذلك تجرع سما ومات، وأما الشيخ إدريس فلم تلتفت إليه الحكومة وما زالت تحترمه إلى أن توفاه الله تعالى ودفن بالحلفاية رحمه الله..

هذه هي الحادثة الثانية التي أسميتها الملاحظة (ب) ونرى الاختلاف التام بين التفسير الذي ذهبت إليه كتب التاريخ منذ شقير وعبر كل ما كتب بعده حتى الكتب المعدة للمادة المدرسية في مدارسنا في السودان، نرى الفرق التام في تفسير الحادثة هناك وفي المخطوطة الجديدة، فماذا أريد بذلك؟

إنني أريد الآن: على أننا ولأول مرة أمام مصدر أولى جديد، وأنه لا يزال في شكل مخطوط لا بد أن نوليه كل عناية في التمحيص والتحقيق حتى نصل به إلى مصاف المخطوطات المحققة المنشورة.

وفي مثل هذه المرحلة من البحث لا يكون السؤال العاجل عن أين الصواب وأين الخطأ؟ أو عن أي من البراهين والدلالات أقوى وأدعى لليقين؟

إنما الشيء الهام العاجل: تسجيل حقيقة إننا أمام حدث هام مخطوط يشكل مصدراً أولياً من مصادر التاريخ السوداني في حقبة هامة، وعلى الباحثين والدارسين أن يولوه اهتمامهم ويولوه المزيد من الدراسة والفحص والتمحبص.

وبعد:

إن المخطوط كما ذكرت يغطي حقبة طويلة في تركيزه عى سلسلة ملوك العبدلاب ولقد حرصت الآن على عرض جانب يسير مقارناً مع أحداث مماثلة تعرضت لها كتب التاريخ المتداولة

في هذا البلد (والشك العلمي) الذي يثيره التفسير الذي أتى به المخطوط بالنسبة لما ظنه البعض «حقائق تاريخية» هو بالضبط موضع الاهتمام حتى ينجلي الأمر بالمزيد من الدراسة والتحقيق. وهنالك مواضيع أخرى في المخطوط تتميز بالكثير جداً من السرد المعبر والمشوق لحوادث تاريخية كثيرة كأحداث عهد ولاية الشيخ عجيب المانجلك الذي اشتهر بالعدل والحكمة والذي قال فيه الشاعر:

العنده تسع عشر من صقور جماع

(. . . . .)

- ونكتفي إذن بهذه النماذج الموثقة حتى نقدم المخطوط منشوراً لأول مرة في تاريخ السودان حتى نمكن لكل فرد جد واهتمام من الإفادة والتدارس.

مخطوطة العبدلاب

النسخة المخطوطة عند فرع شمبات وحلفاية الملوك من أبناء العبدلاب.

هذا كتاب التاريخ المسمى بواضح البيان في ملوك العرب بالسودان وملوك العبدلاب من الشيخ عجيب الأول إلى تاريخه طلباً لمعرفتهم وبالله التوفيق والهداية وهو العليم الخبير.

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله والصلاة والسلام على أكرم رسله وخلفائه وعلى آله وصحبه ومن سلك طريقه المستقيم وبعد. . .

فقد طلب مني بعض أهل الفضل الذين يهمهم معرفة تاريخ ملوك العرب بالسودان أن أعمل خلاصة يرجع إليها تاريخ ملك

أجدادنا العبدلاب فترددت في الأمر أولاً لعدم وجود كتب خط يؤخذ منها وصف الحوادث وأعمال الملوك لصياغتها في أول فتوح المهدية ولكني وجدت الموضوع في ذاته لكثرة الروايات المخالفة فعزمت على جمع ما تلقيته من والدي المرحوم الأرباب الحسن بن شاور ابن عجيب أونسه بن الشيخ شمام بن الشيخ عجيب الثالث وقد كان والدي المذكور الذي توفي في سنة ١٣٣٤هـ عن تسعين سنة ونيف مطلعاً على الكثير من حوادث أجداده نعتاً فيها معروفاً بذلك وهو من مستخدمي الحكومة المصرية وله صلة كبيرة بالعالم العلامة الولي المرحوم الشيخ إبراهيم بن الشيخ عبد الدافع مفتي السودان سابقاً كما أني أخذت من غيره من أكابر العبدلاب وغيرهم وقد تحريت فيه الحقيقة بقدر الإمكان ورتبت الملوك وأعمالهم ومدة كل منهم كما ذكرت بالمناسبات بعض ملوك سنار الملقبون بالملوك الهمج ووزراء الفونج وذلك للعلم وإظهاراً للحقائق واعتذر لما يوجد فيه من التقصير لعدم وصولي لأكثر مما ذكرته وأسال الله الغفران في الزيادة والنقصان ويهدينا للصواب وأن ينفع به آمين وسميته واضح البيان في ملوك العرب بالسودان.

هذا تاريخ ملوك العبدلاب أولهم:

١/ الشيخ عبد الله جماع بن السيد محمد الباقر ولقب بجماع لجمعه القبائل وهو أشرف بيوت العرب في السودان وكانت الرياسة والسيادة لأجداده وكان رجلاً عظيماً عالي الهمة طموحاً للمعالي فاستطاع بما أوتى من الرأي السديد والغيرة الدينية استمالة جميع قبائل العرب الموجودة بالسودان وتوحيد كلمتهم تحت سلطان يدير شؤونهم ويسلك بهم سبل الرشاد

وينقذهم مما كانوا فيه من الضعف الشديد الذي أحاط بهم من ملوك العنج فبايعوه على محاربة العنج وصار يفتح مداينهم الواحدة بعد الأخرى ثم رأى أنه من الأوفق أن يتعاهد مع ملك الفونج المسمى عمارة دونقس المقيم بجبال الفونج بجهة لول وتعاهدا على أن يمده ملك الفونج بنجدة من عساكره وتجهز بجيوش جرارة من قبائل العرب وتقدم لحرب العنج بهذا الجيش العظيم وجالدهم في عدة وقائع يطول شرحها حتى انتصر عليهم وفتح البلاد من أي جهة في الشمال إلى سوبة وقتل ملكهم علوة وكان لملك العنج قائد عظيم يسمى حسب الله ففر ببقية الجيش إلى قرى التي بها سور عظيم في الجبال ثم لحقه عبد الله جماع وحاصره حتى سلم وبعد ذلك خضعت له جميع بلاد السودان إلا جهة الشواطىء البحر الأحمر التي فتحها ابنه الشيخ عجيب بعده واستحوذ على غنائم كثيرة منها تاج الملك المرصع بالجواهر وعقد الهيكلي المفصل بالدر الياقوت التي صار يتوارثه ملوك العبدلاب إلى أن استلمه أحمد باشا والي السودان الأول من الشيخ إدريس ناصر كما يأتي رصد الآلات الموسيقية والإزمار والشراتي والدنقر ثم اقتسما الملك فكانت الجزيرة فقط لعمارة دونقس الذي انتقل من الجنوب إلى جبال الفونج مقر مملكته واختط سنار عاصمة له وجميع أجزاء السودان الأخرى للشيخ عبد الله جماع فاختار عبد الله جماع ستين سنة وتوفي في أوائل القرن التاسع رحمه الله وكان له أولاد (كثيرين) المشهورون منهم الشيخ عجيب المانجلك والسيد إدريس الأنقير جد الأنقرياب ـ والسيد محمد ديومه جد الديوماب السيد أحمد أدركوجه جد الأدركوجاب والسيد سبه جد السباباب ثم خلفه ابنه الشيخ عجيب

المانجلك وهو الذي وسع المملكة وكان من أكابر أولياء الله وقام داعياً إلى الله تعالى باتباع أوامره واجتناب نواهيه والعمل بسنة نبيه صل الله عليه وسلم وصار يحكم بين الناس بالعدل مع اشتهاره بالرأفة والرحمة والتفقد للرعية وكان يمر بنفسه على سائر البلاد التي تحت طاعته ويزيل عنها البدع والهمجية المخالفة للشريعة المحمدية ثم حصل اختلاف بينه وبين ملك الفونج المسمى سليمان وقيل عبد القادر في عوايد دينية أدت إلى الحرب بينهما فانتصر عليهم الشيخ عجيب وأخرجهم من ديارهم حتى أدخلهم الحبشة وعمر بها المساجد منها مسجد بمحل يقال له أحمر موقى بجهة الرصيرص وأخر بفواس بالقرب من حدود الحبشة وثالث بجهة قبائل الكومة والأعمار محل إقامته بالحبشة وآثارها موجودة إلى الآن وجعل حدود مملكته مع الحبشة جبل قورة والحجر أبو قد ثم إلى جهة الغرب وأوقف حده مع سلطنة فور بمحل يقال له فوجه أي «قاب يلول» ثم مر على الجهة الشمالية وأوقف حده بجهة أسوان وبعد ذلك رجع إلى عاصمة ملكة قرى فاستتب الأمن وانتظمت الأحوال وعين أربعين قاضياً لأحكام الشريعة المحمدية فباشروها بصدق ونزاهة ومنهم الشيخ عبد الله العركي الولي الكامل في علوم الظاهر والباطن فقال فيه الشاعر «ويحكم بالشريعة لا يبالي يقض الحق بالنوازل والنقول» ومنهم الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ النويري القطب الكامل ومنهم الشيخ بقدوس بن سرور الجموعي على دار الجموعية فحارب مع الشيخ عجيب الفونج في كركوج وقتل معه شهيداً وأيضاً الشيخ حمد النجيض الجموعي العوضابي ومنهم الشيخ دشين قاضي العدالة الذي قال فيه فرح دشين قاضي العدالة: الما بميل للضلالة.

ثم الشيخ محمد القناوي على بربر ونواحيها والشيخ علي ودعشيب على العيدج ونواحيها وهلم جراً وأيضاً عين ملوكاً ومشايخ على قبائلهم وأيدهم بالطواقي على حسب العادة المتبعة في ذلك الوقت وهم سبعة عشر طاقية منهم الحمدة والجموعية والسعداب والميرقاب والرباطاب والشايقية وملوك أرقو والقبياب بجهة كردفان وفي الصبح عشرة طواقي منهم الحمران والنابتات والحلنقة والكميلاب وغيرهم وكانوا يدفعون إليهم جعلاً سنوياً والقود من الخيول والدقيق ولمحبته في العلم جاءت إليه العلماء ورجال الدين وانتشرت العلوم في ذلك العصر وقراءة القرآن الكريم وقد حبا أهل الدين والعلماء بالهدايا الثمينة التي من أهمها الأطيان الموجودة عند أحفادهم إلى الآن وعظم الملك في زمنه حتى قيل أن الجيش المعد لحراسة مدينة قرى في كل يوم اثني عشر ألف فارس على اثني عشر ألف حصان في لون واحد سواء كان أحمر أو أبيض أو أزرق أو غير ذلك ثم أن الشيخ عجيب علم أن شيخ عربان العنج الذي هو خارج عن طاعته مخالف للشرع المحمدي يسفك الدماء ويأخذ الأموال بدون وجه شرعي وأن المرأة تطلق ويتزوجها آخر في يوم واحد كان الشيخ عجيب غازياً في سبيل الله لا يحارب إلا لتأييد الدين وإظهار الشرع المحمدي فجهز جيشاً عظيماً وقاده بنفسه ولما قرب من محل الشيخ المذكور ترك حيشه وذهب إليه منفرداً في صفة رجل يستجير فأنزله من وراء البلد ولم يقصد بذلك الشيخ عجيب إلا الوقوف على حقيقته فلما تحقق ما بلغه نظراً بعينه رجع متخفياً إلى جيشه وعند ذلك قال في الشاعر...



مشهد تاريخي لموقع المعركة الحربية التي دارت في القرن السادس عشر بمنطقة (قرّى) شمالي العاصمة القومية الحالية (الخرطوم). الموقع جبلي استراتيجي يحيطه الصخور والحصون والموانع الطبيعية القاسية - ويحتاج للاهتمام والتوثيق فهذا أول جهد بذل بمبادرة طوعية فردية.

العنده تسعة عشر من صقور جماع: المثل أسوده الخلا
القماع حتى الطير فضلت الشكشك المناع كيف ينزل وقيع من
ورا المناع وكان أولاد عبد الله جماع صفر الألوان ولذلك لقبوهم
بصقور جماع ثم خاطبه بأن الرجل الذي استجار به هو الشيخ
عجيب ملك قرى فإن أطعتني وتركت أحكامك المخالفة للشرع
أقرك شيخاً في محلك وإلا فاستعد لمحاربتي فلما وصل ذلك
الخطاب إلى شيخ عربان العنج غضب وجمع جيوشه وتقدم ـ
لمحاربة الشيخ عجيب والتقى الجيشان وتحاربا حرباً شديداً إلى
أن فصلهم الظلام وهكذا استمر الحرب عشرين يوماً وفي الواحد
والعشرين قتل شيخ عربان العنج وانهزم ما بقى من جيشه فاقتفت
آثارهم فرسان الشيخ عجيب بالقتل فانقسموا طائفتين طائفة إلى
كرسك والأخرى إلى مصوع ولما فتح تلك البلاد ولى عليها نابت
جد النابتاب حاكماً وأمره بالعدل وإقامة شعائر الدين وعمارة
المساجد وجعل حده سواكن ومصوع وكرسك من جهة البحر
الأحمر ثم توجه إلى حج بيت الله الحرام لأداء الفريضة وكان
الطريق وعر المسالك لما رأى ذلك استحسن أن يفتح الطريق
ليكون مسلكاً للعامة رجاء للثواب وتقريباً للمسافة لمن يريد الحج
وكان قبل ذلك الطريق بالقصير فاجتهد الشيخ عجيب وفتحه
بسواكن بجمع السمن وصبه على الحجارة وإيقاد النار عليها حتى
تيسر كسرها وهان وسار إلى سواكن وعمل حفيراً ـ واسعاً تقع في
الجنوب لسواكن لخزن ماء الأمطار بها لشراب الناس ثم قطع
البحر وحمل معه ذهب ليتم عظمته وسار إلى مكة المكرمة
وقضى المناسك وتوجه لمدينة الرسول ﷺ وبعد الزيارة أقام بها
زمناً طويلاً أسس فيه مآثر وأوقاف بالحرمين الشريفين موجودة إلى

الآن ولما رجع من حجه إلى قرى العاصمة بلغه أن ملك الفونج جمع جيوشاً جرارة من أمم مختلفة قاصداً محاربته فتوجه إليه الشيخ عجيب فالتقى الجيشان قريباً من محل الملك، المذكور وصارت بينهم محاربه شديدة أياماً عديدة ولما رأى الشيخ عجيب قلة عسكره لكثرة الوقائع رجع وجمع جيوشاً ليكر بها مرة أخرى وفي أثناء ذلك حضر بجيوشه فتحاربا بمحل يقال له الدبكر المسمى الآن كمكوج شرق الخرطوم على ضفة النيل الأزرق فاستشهد الشيخ عجيب بها ويقال أنه كان معمراً حتى أن جفونه تنزل على بصره فتغطيه فيرفعها ويربطها بشريط على جبهته وملكه ٤٥ سنة تقريباً قدس الله روحه ونور قبره وسقى ضريحه صوب الرحمة والرضوان ثم نقل الفونج على داره وخرج أولاده ببقية الجيش من قرى إلى دنقلا وبويع بعده ابنه الشيخ عثمان فجهز جيشاً لحرب الفونج وقبل وصوله توفي إلى رحمة الله تعالى ثم تولى بعده أخيه الشيخ محمد العقيل وكان رجلاً شجاعاً ذو رأي وحزم شديد ثم اجتهد في الاستعداد وجمع جيشاً عظيماً لحرب الفونج وعند اجتماع الطائفتين للحرب حضر الشيخ إدريس ولد الأرباب رضي الله عنه ومعه عدد من رجال الدين وحجزهم من الحرب وأصلح بينهم بعد مداولة كثيرة وحصلت الموافقة على يده لأنه كان أكبر ولي في السودان في زمنه وكان له جاه عظيم تليد وتم الصلح على شروط كثيرة سجلت بدفاتر تسمى بدفاتر الحرس منها أن الشيخ محمد العقيل تكون له دار عجيب بحدودها وملك الفونج تكون له الجزيرة فقط وفيها أن العرب التابعة لمملكة قرى الساكنة بالجزيرة يخدمهم شيخ الذر التابع لولد عجيب وإذا دخل سنار ولد عجيب لا يضرب نحاس غير

نحاسه مدة إقامته بها ومنها إذا دخل عدو في حدود دار الشيخ عجيب من الممالك المجاورة لها سواء كان من الحبشة أو ملوك فور أو ملوك مصر يدفعهم ولد عجيب وملك الفونج يمده بالنجدة من عساكر حسب المعاهدة السابقة التي كانت مع الملك عمارة دونقس والشيخ عبد الله جماع وتكون المملكتان متحدتان فيما يحدث وقد سكنت الفتنة واستقر الشيخ محمد العقيل في ملكه وحكم بالعدل وسار في الرعية كأبيه يحب أهل الدين ويكرم أهل الفضل وفي زمنه زحفت الحبشة بجيوش كبيرة يقال إنها مائة ألف جندي على الحدود يريدون الدخول في بلاد السودان فلما علم الشيخ محمد العقيل بذلك جند جيوشاً كثيرة من قبائل العرب وغيرهم وكانوا يقدرون بأربعين ألف فارس لابسة الدروع ومقنعة بالحديد والفولاذ وقصد بهم الحدود فقابلهم جيش الحبشة ودار الحرب بينهم أياماً في عدة وقائع يطول شرحها ثم انتصر عليهم الشيخ محمد العقيل وقتل ملك الحبشة الملك أياسو بنفسه وهرب الباقون وأسر منهم رجالاً وسبا نساء كثيرة ثم رجع إلى مقر ملكه بمدينة قرى وتوفى بها ودفن بجوار أبيه وملك ثلاثين سنة وله من الأولاد أربعة وثلاثون بعضهم قتلوا في الحروب والمشهور من الباقين عبد الله البرنس وعجيب وحماد وشاور فسبحان الباقي بعد فناء خلقه ثم خلفه ابنه الشيخ عبد الله البرنس وكان رجلاً صالحاً من أرباب الكشف وعادلاً في الرعية وفي زمنه عمرت دار عجيب وحصلت البركة في المزارع وكثرة المواشي وقد يشاع من عدله وبركته أن الذئب يجتمع مع البهائم فلا يضرها وتلك من أكبر الكرامات وقد استتب الأمن حتى أن الرجل يسافر وحده بالأموال الكثيرة من بربر إلى سنار فلا يتعرض له أحد

بسوء حتى يرجع لأهله سالماً وتوفي بمدينة قرى ودفن بها رحمه الله وملك سبعة عشر سنة تقريباً ثم خلفه الشيخ هجو ولد عثمان واقتفى أثره في العدل ويحبه أهل الدين وأكرمهم بدفع المال والأطيان وملك خمس سنوات وتوفي لرحمة مولاه ثم خلفه الشيخ عجيب ولد عريبي الثالث وقد سار بسيرة ابن عمه بالعدل ومحبة أهل الدين ولم يكن في زمنه حرب لانتظام الملك وملكه ست سنوات وتوفي إلى رحمة مولاه ودفن بقرى.

ثم خلفه الشيخ مسمار ولد عريبي الأول وملكه خمس سنوات وبعده عزله أهله لسوء سيرته وتعديه على الرعية. ثم ولى بعده الشيخ على ولد عثمان وكان ملكاً عادلاً وحليماً على الرعية وملكه سبع سنوات وتوفي لرحمة مولاه جل وعلا ودفن بقرى.

ثم خلفه الشيخ حمد السميح ولد عثمان وكان رجلاً جباراً وحصلت بينه وبين ابن عمه عجيب بن الشيخ محمد العقيل منازعة بسبب تعديه على الرعية وعدم الاستقامة المؤدية لخراب الدار وتمزيق الملك حتى عزله أهله من الملك فخرج من الدار وتوجه إلى دارفور وسكن بها وله أولاد بتلك الجهة وملك عشر سنوات ثم ولى بعده الشيخ عجيب الثالث ابن الشيخ محمد العقيل وهو ابن خمس وستين سنة من عمره ثم نازعه أولاده نظراً لكبر سنه حتى كادت تقع حروب بينهم لولا أنه راعاها بحسن سياسته ومما يؤثر عنه أن له سوراً عالياً بمدينة قرى ليحفظ فيه أولاده كي لا يراهم أحد حتى بلوغهم سن الرشد وفي بعض الأيام هيأ له عرضه وضرب نحاسه واجتمعت الجيوش وجلس على سرير ملكه وأخرج أولاده المحجوبين في تلك العرضة راكبين الخيول الجياد الملبسة ولابسين الدروع وبأيديهم السيوف

البارقة فلما رأى ذلك أبناء عمه المذكورين يئسوا منه وخضعوا له وقيل أن أولاده السابقين سبعة وعشرون ولما قويت شوكته في الملك فرق أبناء عمه المذكورين في البلاد واستقر ملكه بقرى ولم ينازعه فيه أحد فصار الوارث لملك جده الشيخ عجيب المانجلك وبقية الملك في ذريته إلى أن انتهت على يد الحكومة المصرية ١٢٣٦هـ ألف مائتين وستة وثلاثين هجرية وفي مدة ملكه عزم التركمان ملوك مصر الشهيرين بالغز نواب الدولة العثمانية امتلاك بلاد السودان وجاءوا بجيوش كبيرة فلما علم الشيخ عجيب الثالث بذلك جهز جيشاً عرمرماً تحت قيادة ابنه حماد المكنى بظلف العجل وأمره بالتوجه لحربهم بالحدود المصرية بجهة أسوان فلما وصل حماد إلى الديار رأى أن حرب التركمان من أعظم ما يكون فاهتم لهذا الأمر اهتماماً عظيماً وتشاور مع رؤساء جيشه فاتفق رأيهم على جمع البقر والإبل وتقديمها أمام الجيش لتكون هدفاً للرصاص إلى أن يتمكنوا من الاختلاط بالعدو ولما التقى الجيشان وكان في أول العلاقة تصادم حماد مع قائد جيش التركمان فضرب حماد وطفره حصان حماد وراءه فلما نزل حصان حماد بقدارة ولكن لسوء حظه لم تصبه وطرد حماد القائد من وراء الوادي تقطعت الحزم الاثنين ومسكه السرج السلبة ملحقة وقتله وكان عند شد الحصان للحرب أمر حماد السيس أن يحزم السرج بسلبه ـ فوق حزم السرج الاثنين وظن السيس أنه جبان فكانت السلبة المذكورة سبب نجاته وظفره على عدوه فلما رأى الناس أن السرج مسكه بالسلبة وجاءوا فوق وادي حفير فطفره حصن القائد الذي كان أشار إليها حماد ظنوها كرامة له أو فراسة منه صحة هذه الحيلة وأظهر العرب شجاعتهم المعهودة

وتغلبوا على العدو وقتل قائد التركمان وكثير من جيشه وانهزم الباقون وكان مقتله عظيماً وفي أيامه حضر مولانا السلطان سليم إلى سواكن فلما علم الشيخ عجيب ولد محمد كاتبه خوفاً من أن يرسل جيشاً لفتح السودان ظناً منه أنها بلاد كفر ولذلك أخبره الشيخ عجيب بأننا مسلمون أهل كلمة لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله نقيم الصلاة ونؤتي الزكاة ونحكم بالشريعة المحمدية ونسبتنا من بيت الشرف وفتحنا هذه البلاد التي كانت للكفر فأدخلنا فيها الإسلام وعمرنا المساجد وأقمنا الدين المحمدي وأما حربنا مع ولاة مصر فإنها بسبب تعديهم علينا ودخولهم في حدودنا مع أن الشرع لا يجيز لهم حربنا ما دمنا مسلمين موجودين ونرجو من عظمة مولانا سلطان الإسلام أن ينظر في الأمر ويوقف قوات مصر عند حدودهم فلما تحقق له ما ذكر في الخطاب وجدت مكاتبات بذلك الخصوص فقدت مع التاج الذي أخذه العبدلاب من ملوك العنج كما سيجيء ومن ذلك الوقت لم تجر حرب مع الحكومة المصرية ولم يتعرض أحد إلى فتوح محمد علي باشا للسودان في ١٢٣٦هـ ألف ومائتان وستة وثلاثون هجرية وملك خمس وعشرون سنة بمدينة قرى ومات بها رحمه الله وقبره بجوار جده الشيخ عجيب المانجلك ثم خلفه ابنه الشيخ بادي.

وكان رجلاً عادلاً في الرعية وهو من أغنى ملوك العبدلاب وأيامه ذات أمن لا قلاقل ولا حروب ومدة حكمه أربع سنوات ومات بقرى ودفن بها رحمه الله ثم خلفه ابنه الشيخ دياب أبو نائب.

كان ذو قوة وشوكة عظيمة وله خبرة شديدة فتطاول على

أبناء عمه بالإهانات والعقوبات الشديدة ولهذا السبب هاجر جميع العبدلاب من مدينة قرى للجهات البعيدة إلا البعض من أعمامه كعبد الله وشمام ولدي عجيب فلم يمكنهم من الفرار منه حرصاً على دار جدهم الشيخ عجيب وكان ذا أبهة وبذخ شديد فمن ذلك أنه قد سبك الفضة وجعلها مرابط لخيله كما اتخذ متأود خيله ومشاكلها من الحرير الخالص وقد كان يسقي الماء في أواني الذهب والفضة وفي آخر أيامه خرج ماراً بالحهات الشرقية بنواحي التوك والمناع متفقداً أحوال رعيته فأدركته المنية فمات هناك ودفن رحمه الله تعالى وملك تسع سنوات ثم خلفه الشيخ عبد الله الثالث بن الشيخ عجيب.

وأقام بمدينة قرى خمس سنوات ثم اتفق مع أخيه شمام بنقل المملكة إلى الحلفاية الحالية وجعلوها عاصمة لمملكتهم وكان الشيخ عبد الله رجلاً فاضلاً ورعاً عادلاً وهو من أهل الحزم والعزم والشجاعة وفي حالة توليته فرحت به الرعايا وكذا أهله نظراً لما كانوا فيه من الشدة في زمن الشيخ دياب ومدحوه بأبيات شعر فيها: -

جيد ولوك يا اللي عسكرك طماع

يا أسد الملمة التماع

نعم إنك من تركت صقر جماع

ثم عاد العبدلاب الذين هجروا مدينة قرى في زمن الشيخ دياب وسكنوا بالحلفاية واهتم لعمارتها وقصده العلماء ومشايخ الدين من الجهات البعيدة وعمر المساجد وأمر بتدريس العلوم حتى أن مدينة الحلفاية صارت لهذا السبب من أعظم مدن

السودان وقد أمها التجار من كل الجهات البعيدة بالبضائع النفيسة وانتشرت التجارة في السودان بأجمعه الأمن والعدل والإنصاف الذي اشتهر به الشيخ عبد الله وكان يحب أهل الدين ويكرم أهل الفضل وأرباب المساجد ويدفع لهم الأموال والأطيان مساعدة لهم على نشر العلوم الدينية فاجتمع بعظمته كثير من الرجال المشهورين بالعلم والصلاح فاستنارت المدينة بهديهم وفاقت غيرها من علوم الظاهر والباطن وقد اشتهر بها كثير من المشايخ العظام مثل الولي الشيخ عبد الدافع بن محمد صاحب القبة الموجودة الآن والعلامة الشيخ محمد ولد ضيف الله والشيخ عبد الهادي ولد دوليب وابنه الشيخ نابري والشيخ عمارة بتوشليق المشنجي والشيخ عبد الحليم بن سلطان وأخيه الشيخ عبيد المغربي صاحب مقبرة العبيداب ولأغلب المذكورين مساجد بالحلفاية يعلمون فيها أولاد المسلمين ومما يحكى عن عدله أن ملك بربر يسلب الناس أموالهم في الأسواق ويظلمهم ولا يخشى أحد سمع به الشيخ عبد الله أرسل إليه رجلين على جملين وأمرهما أن يخفيا أمرهما حتى لا يعرفهما أحد إلى أن يشاهدا ذلك بأنفسهما فإن كان صحيحاً قطعا رأسه وأتياه به فلما شاهدا ذلك ضربا عنقه وانتظرا ما يحدث لهما من الملك وهاج الناس وأخبروا أباه أن لا يتعدى عليهما أحد فجاء إليهما وسألهما عن الخبر فقالا له نحن رسل من الشيخ عبد الله ونفذنا ما أمرنا به فقال لهما السمع والطاعة أنا قاتل ابني وكان العدل معروفاً عند الناس في زمن الشيخ عبد الله هذا ومن كان قبله من أولاد الشيخ عجيب والملك ثابت الأساس والرعية رائعة في بحبوحة الأم والراحة حتى أن عريان العنج إذا الذئب أصبح قائلاً في بهائمهم

يقولون أن ولد عجيب توفي ولم يولي غيره فلقي الذئب من غير والي فقتل فيها البهائم اليوم فيجدون زعمهم صحيحاً ولما اشتهروا به من العدل والإنصاف شاعت بين الناس قبل هذه الحكاية ومن الآداب المرعية مع أولاد الشيخ عجيب في السلام أنه إذا دخل عليه الناس يتمزقون بثيابهم ويذكرون أسمائهم ويقول الواحد منهم أنا فلان أولاً ويود الشيخ ذكر اسمه فيقول له مانجل ويسلم على يده ومعنى مانجل يا ملك أنت سلطاننا لانجل سواك إلا الله ويجلسون على الأرض مباشرة إلا العلماء وأهل الدين فإنهم يدخلون عليه باسطين أيديهم بالدعاء له من الله تعالى ويجلسهم على الفراش وإذا مر الشيخ عبد الله على الرعية يفرحون بمروروه كأنه يوم عيدهم الأكبر ويتلقونه بالترحاب والإكرام وفي بعض الأيام يخرج متنكراً مسافة بعيدة من قومه ويقابل أهل البلد الذي يقصده ويسألهم عن حال ملكهم وسيرته بينهم فيقولون له إننا في غاية الأمن والراحة منذ ولي عبد الله ملك الحلفاية وبعد له وحسن سيرته في رعيته قد أخلصت له الرعية ونعمت له وصارت لا تخفى عليه شيئاً حتى صغيرات الأمور ومما يحكى أنه مر ذات يوم على راعي ضأن وجده بالبعد عن بلده فقال له ما معك يا هذا الرجل؟ فقال معي الله وعبد الله فقال له نعم الله مع كل مخلوق وعبد الله بالحلفاية؟ كيف يدركك إذا حصل عليك شيء؟ فقال له الرجال: أسكت الريح تحمل كلامك وتوصله لعبد الله بالحلفاية. وفي أثناء الخطاب إذ سمع الرجل حركة الجيش فلما عرفه قال له أنت الشيخ عبد الله ملك الحلفاية؟ قال نعم فتركه فلحقه الراعي ووقف أمامه أن هذه الأغنام كلها ملكك وعند أخي مثلها وذلك لأنه في زمنك أتتني

نعاج مهملة فحفظتها على أمانتها والمهمل للسلطان فقال له أنت أمين على مال الله وقد تركتها لك فقال الرجل أن في هذه الأغنام ستين خروفاً خذها ضيافة للجيش فلم يقبلها منه وقيل أن رجلاً من أرباب جيشه تحدث في نفسه وقال أن هذا الرجل لا يخلو من حسد كيف لا يقبل الستين خروفاً نتغذى بها؟ فلما بلغته هذه المقالة أرسل إليه في الحال فقال له ماذا قلت؟ فقال الرجل إني لما رأيتك رفضت الستين خروفاً اغتظت غيظاً شديداً فقلت من بلغك فقال نبي الله وعفا عنه وفي آخر أيامه جاء سلطان فور بجيش جرار لأخذ بلاد كردفان فلما بلغ الشيخ عبد الله جند جيشاً عظيماً وتوجه بنفسه ومعه أخيه شمام وابنه محمد العقيل بن شمام وترك ابنه مسمار بمدينة الحلفاية حاكماً عليها ولما وصل إلى كردفان دارت رحى الحرب بينهم وبين الفور فانتصر عليهم وأرجعهم إلى ورائهم فلما عجز الفور عن محاربته استعانوا بقبائل العرب المجاورة والتي تحت طاعتهم وأمروهم بدفن الآبار ومتابعتهم بارتفاع الأصوات والصراخ على الجيش بدون حرب وكلما كر الشيخ عليهم فرت العرب هاربة أمامه ثم يعودون كما كانوا وجيش الشيخ عبد الله تلقاهم بقلوب لاتهاب الموت وتثبت ثبات الرواسي وسيوف تزيل الهامات عن مواضعها بضرب فيصل بسبب الرضيع وقيل تسير النقع عليها فتية كما قال الشاعر:

معودة لا تسل نصابها

فتغمد حتى يستباح قتيل

واستمرت الحرب بينهم أياماً وأسابيعاً بل شهوراً وأعواماً إلى أن قلت الإمدادات والمؤن وتكاثرت جيوش الفور فاستقبلهم

العبدلاب وأظهروا من ضروب البسالة ما حير الألباب وفي هذه المعركة قتل الشيخ عبد الله بعد أن قل جيشه ومنع من الماء لأن الفور قد استولوا على جميع الآبار ودفنوا ما بقي منها وملكه ثمانية عشر عاماً.

فتولى قيادة الجيش أخيه شمام ـ ورجع بها إلى بلدة يقال لها شمغت رجاء الحصول على الماء فانتظر هناك وبعد أيام لحقته جيوش الفور بذلك المحل فدارت الحرب بينهم أياماً وقتل الشيخ شمام بعد مضي سنتين.

ثم تولى بعده القيادة ابنه ـ الشيخ محمد العقيل.

فدافع دفاع الأسود عن أشبالها مع قلة جيشه وكثرة جيش عدوه ومع حداثة سنه أبت نفسه الأبية وإرادته المؤيدة أن يسلم أو ينهزم وقد أشار إليه أكثر قواده بذلك فرفض قولهم وقاتل إلى أن قتل فكان الجيش قليلاً من كثرة الحروب وشدة العطش فماتوا جميعاً ولم يبق إلا القليل وصارت دار كردفان بيدي سلطان فور وقد غنموا منهم النقارة شبلنخيت شبلنكيت وسموها منصورة فلما وصل الخبر إلى الحلفاية عظم الأمر عليهم فتولى الشيخ مسمار بعد قتل أبيه الشيخ عبد الله ـ وكان مملوءاً غيظاً لفقد أبيه وعمه وابن عمه واشتد حزنه عليهم وعزم على الانتقام لهم واسترجاع دار كردفان ولما علم ملك سنار بذلك فاوض الشيخ مسمار في الأمر لأن العبدلاب والفونج متحدون في ذلك الوقت وخشي الملك من تهور الشيخ مسمار في الحرب لصغر سنه وعدم تمكنه في الحرب وكان عمره خمسة وعشرون سنة فقط فلما اجتمعا اتفقا على تولية القيادة للشيخ محمد أبو لكيلك أحد وزراء الملك

وجهزه بالجيوش الجرارة وسافر لحرب الفور وانتصر عليهم الشيخ محمد وأخرجهم من دار كردفان وتوطن بها محافظاً لحدود الدار وكانت مدة ملك الشيخ مسمار خمس سنوات وتوفاه الله بالحلفاية ودفن بها رحمه الله.

الشيخ ناصر بن الشيخ شمام

وكان ملكاً جباراً قاهراً سيره كسيرة ابن عمه دياب أبو نائب ففرت منه قلوب أولاد عجيب والرعايا فعزلوه وخرج من مدينة الحلفاية وسكن بجزيرة سنار بجهة أم المحلة ومات هناك ودفن بها رحمه الله ومدة ملكه ثمانية سنين ثم خلفه ابن عمه: ـ الشخ عجيب الرابع ابن الشيخ عبد الله الملقب بالفيل كان رجلاً عادلاً في الرعية لا يقوم على شيء من أحكامه إلا بمشورة العلماء وأهل الصلاح كان عظيم الخلقة واسع الصدر حتى أن سعة صدره ثلاثة أسبار ولذلك لقب بالفيل وفي آخر عمره خرج ماراً بجهة العنج متفقداً أحوال الرعية فتوفى ودفن هناك رحمه الله وملكه بالحلفاية عشرين سنة ثم خلفه أخيه..

الشيخ عمر بن الشيخ عبد الله:

ملك سنتين بالحلفاية فنازعه ابن أخيه الشيخ الأمين مسمار كان فارساً هماماً وبطلاً مقداماً تهابه الرجال وتخشى من صولته الأبطال فشهدت له كل القبائل بالشجاعة التي قل نظيرها في السودان وقد حكى أن الشيخ خوجلي رضي الله عنه في ليلة وضع المولود هذا أوصى عليه جده الشبخ عبد الله وكان يكفله جده في صغره ولا يأمن عليه أحد في الليل وسبب حربه مع العنج وقتله فرسانهم إن أولاد محمد أبو لكيلك الذي سبق توليته

من أبيه الشيخ مسمار مع ملك الفونج بعد وفاه أبيهم محمد أبو لكيلك استولى مكانه الشيخ بادي ولد رجب بن أخي محمد أبو لكيلك المذكور وهو رجل مشهور بالشجاعة ولما استقر في الولاية وقويت شوكته طمع في أخذ ملك سنار وجاء من كردفان بجيش كبير لمدينة سنار ودخلها عنوة بدون حرب وولي وعزل في ملوك الفونج ولم يعارضه أحد خوفاً منه ثم خرج منها ماراً بالجزيرة يأمر وينهى ثم عبر النيل شرقاً وقتل شيخ الشكرية أبو علي وكان بسنار المك عدلان أبو جديري فعظم عليه الأمر وشغل باله فشاور وزرائه في كيفية حرب بادي وقتله فاتفقوا على إحضار الأمين مسمار لإشتهاره بالشجاعة والنجدة وكان الملك في ذلك الوقت عند عمه الشيخ عجيب والأمين مسمار قائداً بجهة أتبره ومعه أولاده الكبار فأرسل إليه الملك عدلان رسوله حجازي ولد أبو زيد من ذرية الشيخ إدريس ولد الأرباب وكان رجلاً مطباباً ونظراً لقرابته معه تعهد حجازي للملك بإحضاره ولما قابل الأمين قال له لو جاءني أحد غيرك لقتلته وأما أنت لا أفعل بك شيئاً نظراً للقرابة التي بيني وبينك وكان الأمين غاضباً من الملك وبعد لأي قبل الأمين بالحضور ولما قابل الملك وتشاور معه في حرب الشيخ بادي أرسل الأمين مالاً لشراء حصان طنبل ملك أرجو لأنه مشهور بالقوة فأحضروه له فلما علم الشيخ بادي بحضور مسمار لحربه كر راجعاً لسنار فالتقى الجمعان قرب سنار وكان بادي يطلب كل فارس باسمه لمبارزته فلم يقدر أحد على ذلك خوفاً منه حتى طلب الأمين مسمار فبرز له وحمل كل واحد على صاحبه فبادر الشيخ بادي بالضرب ولكن لم تؤثر ضربته فضربه الأمين ضربة قاطعة بسيفه الجمجم فأخذ السيف نصف

الخوذة مع قمعة الرأس وهما في محلهما وظن الأمين أن ضربته لم تصب لحدة السيف فلما رجع رأى الدم نازلاً بشدقيه والرأس بخوذته في محله حتى وكزه فوقع فانهزم جيشه فجمعت منهم خيول وأموال كثيرة وفي أثناء هذا الحرب مات عمه الشيخ عجيب المذكور سابقاً وتولى عمه عمر ولد الشيخ عبد الله ولما قتل بادي وانتهى الحرب رجع إلى الحلفاية وحكم بالعدل وانقادت له جميع الناس لاتباع أمره وفيهم الشيخ عبد الله وأما أولاد محمد لكيلك بعد قتل ابن عمهم الشيخ بادي تعين رجب البطل ولد محمد بواسطة الشيخ الأمين وعدلان أبو جديري وكان أولاد محمد حاقدين على ابن عمهم بادي لأنه أخذ رئاستهم بالقوة حتى أنهم انحازوا مع الملك عليه ثم أخذ رجب بقية الجيش ورجع إلى كردفان محل أبيه فلما طال عليه الزمن أعجب بنفسه فطمع في أخذ مملكة سنار وكان أخوه إبراهيم وزيراً عند الملك معه ظاهراً ومع أخيه باطناً فصار رجب يرسل الأموال خفية لإبراهيم أخيه لهزيمة الوزراء والجنود حتى وفقوا على نصرته وبهذا صار الوزير إبراهيم ذو عظمة جليلة وصاحب الحل والربط بمدينة سنار وعمل حرسه مثل حرس الملك وأعجب بنفسه عجباً شديداً وعلم الملك واغتاظ غيظاً شديداً وخشي من سوء عاقبته فأحضر خواص رجاله الذين يحبون نصرته فشاورهم في أمر أولاد محمد أبو لكيلك وما صنعوه معه فاتفق رأيهم على الشيخ الأمين مسمار لأنه هو القادر على حل عزمهم وتفريق جمعهم قاتل فارسهم الشيخ بادي سابقاً فأرسل الملك عدلان إليه فلما تقابلا عرفه بما حصل من الوزير إبراهيم وأخيه رجب فلما علم الشيخ الأمين بما حصل كله أرسل للوزير إبراهيم وحزبه من جنود

الملك وزجهم في السجن وولى غيرهم وفي صبيحة اليوم التالي قتل الوزير إبراهيم ومن معه في الخداع جزاء خيانتهم وبعد قتلهم هرب رجل يقال، له النعيسان شاعر الوزير وتوجه لكردفان ليخبر الشيخ رجب بقتل أخيه فلما وصل إليه خاطبه بأبيات شعر حماسية يحرضه على الأخذ بثأر أخيه ويعزيه في مصيبته وهي كثيرة منها: -

رجب ولد محمد يا جرك القيوم: في أخوك البسوق لموق الدريسه أب كرم الهنا والهناك من القتال مهموم: اليوم الوزير فوقه المرافعة تحوم - رجب ولد محمد يا جرك الباقي: في أخوك المثل ثوب القماش الباهي.

فلما علم الشيخ رجب بأن أخاه قتله الشيخ الأمين امتلأ غيظاً عظيماً وجمع جنوده وجد السير قاصداً مدينة سنار وكان معه الفقيه محمود رجلاً صالحاً ومجذوب بأكل الدبيب حتى عرف بين الناس بالحاج محمود بلاع الدبيب فلما تطع النيل الأبيض قابلته جيوش الملك ومعها الشيخ الأمين بمحل يقال له الرميلة ودارت الحرب بين الفريقين وقتل الشيخ رجب بضربة من الشيخ الأمين وقتل الرجل الصالح الحاج محمود الذي أرسل قبل قتله للشيخ الأمين يخبره بما سيحصل وقال انقلني من سنار وادفني في بلدك فنفذ الشيخ الأمين الوصية رغماً عن أهل سنار فدفنه بجهة الكريدة بناحية الدبة ما بين محطة الكدرو ومحطة الكباشي وبعد الواقعة جمعت منهم خيولاً وأموالاً ورقيقاً وكان مع رجب أخوانه ناصر وعدلان فجمع الجيش ناصر وتوجه إلى حدود الحبشة وصار يستخرج - الذهب من الجبال ويجند الجيوش ويهادي رؤساء جنود الملك بالذهب خفية وفي أثناء ذلك توفي الملك عدلان

وكان جيش الشيخ الأمين قد تفرق بالجهات وبقي هو وأولاده فقط بسنار مع ابن الملك الصغير وأعلم ناصر ولد محمد بذلك كله وتحقق من استمالة الرؤساء إليه فجاء بجيوشه إلى سنار ونزل بحلة البقرة وأنذرهم بالحرب وكانت جنود الملك معه باطناً وعليه ظاهراً فلم يعلم الشيخ الأمين بذلك كله ولما اصطف الفريقان وجد جميع جنود الملك مع عدوه وكان جيشاً عظيماً مع انضمام سنار عليه فبرز الشيخ الأمين هو وأولاده فقط لحربهم فجاءهم رجل ببيت شعر يحرضهم على القتال فقال لهم:

الفونج والهمج اتلكو
وطعنوا الفيل في مشكو
أمن حاربوا نفكو
أمن أدو الجنامكو

يعني بذلك الشيخ الأمين وأولاده بمعنى أترك سنار وملكها لناصر فحاربهم الشيخ الأمين حرباً شديداً في قلة رجاله حتى أثخن بالجروح فحمله أولاده على غير رضى منه وهو يشتمهم وفي أثناء خروجهم هجم عليهم الفرسان طمعاً فيهم وكلما رأى الشيخ الأمين خيلاً يقول لابنه حماد اقلب الخيل فعاقبه ابنه عبد الله بقوله: الخيل تقلب والشكر لحماد: فصارت مثلاً معروفاً في السودان ثم دخل الشيخ ناصر سنار وخلع ابن الملك عدلان واستولى على ملكها ولكن الشيخ الأمين رجع إلى سنار بعد خروجه منها وأقام بها ثلاثة أيام فأخلاها له الشيخ ناصر وبعد الثلاثة أيام بارحها فلم يقابله أحد من البشر حتى وصل إلى بلده الهلالية، ومكث بها زمناً تزوج فيها فلما علم الشيخ ناصر بأن الشيخ الأمين بالهلالية في عدد قليل من الأولاد طمع في قتله

فأحضر رجلاً مشهوراً بالشجاعة من جهة العنج وأعطاه ذهباً كثيراً ليقتل الشيخ الأمين فجاء الشيخ ناصر بجيش كبير فعبر البحر وتأخر بحلة ولد أبي فروع واستلم القيادة أحد كبار الفونج المسمى أبكر ولد وحشي وتوجهوا إلى الهلالية وقيل أن عدد جيشه سبعمائة فارس وقبل وصولهم إليها جاء رؤساء الشكرية الشيخ الأمين وطلبوا منه القيام إلى الحلفاية وهموا ينقلونه بجمالهم شفقة به من كثرة الجيش فسمعت ذلك ابنته رقية وجاءت بأبيات شعر تحرضه على القتال منها قولها: ـ

إن كان للصعيد بطله
وإن كان للشكارى فازه بابله
أحرق النجيته نقره سلسله
برد دار عجيب وقف جليجله

فتحمس وحلف أنه لا يقوم من الهلالية حتى تقوم ترابها معه فلما سمعت الشكرية تركته فجاء جيش العدو واحتاط بالبلدة ظناً منه بأن الشيخ الأمين يهرب فلم ينزعج من ذلك ولم يخرج من منزل الحريم حتى دخل عليه ابنه حماد وقال له ألم تسمع صهيل الخيل؟ فابتسم ضاحكاً وقال له اذهب بهذه الجارية للنيل وأتني بماء استحم به وأحضره له وتقه والده فيه فاغتسل وتطيب وركب حصانه ومعه أولاده الخمسة عشر فقط وكان الرجل الذي أحضره الشيخ ناصر لقتل الشيخ الأمين بارزاً إذ ذاك فتوجه إليه حماد وصف درقته أمامه وهو من ورائهم بحصانه وعند الملاقاة اتعرفت الدراقة والرجل يهز ويبرح بسيفه عجباً منه بنفسه فهجم عليه حماد بحصانه كالبرق الخاطف وقطع رأسه فالتحم الجيشان وارتجل ناصر بن الشيخ الأمين هذه الأبيات: ـ

الشطاره القاعدة ديمه
حارسة من الجد من قديمه

حاربو يا فرسان سليمه
العزة والرفعة ديمه

بعد المروق العودة حاره
والخلوق لقتالنا دايره

نحمل البجينا حاره
من عجيب عدلتنا تاره

نركب العديلو شديدنا
وتبرق السيوف بايدينا

الحديث الشين يكيونا
والقتال إياه عيدنا

نركب العديلو شددنا
في مشارع الخوف وردنا

بي سيوف الريف عرضنا
ما بنفر شن انقرضنا

ثم ضرب الشيخ الأمين بسيفه جمجم القائد أبكر ولد وحش فشقه نصفين وحام به على فرسه في الجيش بهذه الصورة المروعة وصال فيهم بسيفه المذكور يقطع هذا ويشق ذاك فألقى الله الرعب في قلوبهم فانهزموا وتتبعهم أولاد الشيخ الأمين بالقتل حتى وقعوا في البحر بخيولهم ويقال أن الحوت المسمى بالشلباية والكناكين تعلقت أشواكه بلبوس الخيل وخرج معها إلى الشاطىء الغربي بجهة أبو عشر ورجعت بقية الجيش إلى الشيخ ناصر ولد محمد بحلة ولد أبو فروع فتحير فكره وسأل عن الرجل الذي

تعهد له بقتل الشيخ الأمين وقالوا له قتله حماد قبل اختلاط الجيشين وقال حماد هو صقر أم حديه يخطف الرجل؟ فتعجب وكان الشيخ الأمين له ولد صفير اسمه بقوي مختوناً حديثاً قفل عليه الحوش وأمر بعدم تحركه خشية عليه فأخذ الابن سلطية وطلع فوق الحوش فضرب فارساً من العدو فقتله وركب حصانه وحارب مع أخوانه فقالت له أخته رقية: -

بقوى الصغير يا سرور بالي

خاتاك في الجهل يا كنزنا الغالي

هبرت التروك وعرفت دودالي

أنت اقروب على أسياد الدروع عالي

ثم بعد ذلك أخذ الشيخ ناصر ولد محمد بقية جيشه ورجع به إلى سنار وصار يدبر في الحيلة التي توصله لقتل الشيخ الأمين خوفاً منه لأنه قاتل أخوانه ثم قام الشيخ الأمين من الهلالية إلى مقر ملكه بالحلفاية وصل إليها فرع المشايخ لخدمة الدار وجبى الخراج ثم أرسل ابنه عجيب بدنقلا وكتب للملك أبو سوار ملك الشايقية أن يخرج معه للتحصيل وخدموا جميع البلاد وأرادوا السفر حصلت فتنة بسبب الطمع في الأموال التي جمعت فقبض عجيب الملك أبو سوار وقتله ومعه بعض من رؤساء الشايقية فهاجت البلاد كلها وأجمعوا على قتل عجيب ومن معه وكانوا نفراً قليلاً بالنظر الطاعة البلاد فحاربهم إلى أن قتل هو وأتباعه فلما وصل الخبر إلى الشيخ الأمين قام من الحلفاية إلى جهة شندي ليجهز جيشاً ويرسله لإسكات حركة دنقلا فلما وصل بجهة الشيخ صالح ولد بأن النقا نزل بها وقبل سفر جيوش الشيخ

الأمين إلى دنقلا جاء إليه أبو ريده ولد خميس رئيس نوبة الملك بسنار متظلماً من الشيخ ناصر ولد محمد فقال له إني عصيته وانضممت إليك أكون معك يداً واحدة عليه وإني تحت إشارتك وفي باطن الأمر جاء بخديعة من الشيخ ناصر ولد محمد لقتل الشيخ الأمين ثم جهز الشيخ ناصر ولد محمد جيشاً عظيماً وأرسله لمحاربة الشيخ الأمين قبل سفر الجيش إلى دنقلا وكان القائد لجيش ناصر أحد ملوك الفونج ومعه رجل حازق اسمه سليم من الجهة بسلاح ناري لقتل الشيخ الأمين بالرصاص من بعد قبل التحام الجيوش فلما تقابل الجمعان رأى الصياد ابنا للشيخ الأمين لابساً آلة حربة فضربه وقتله لظنه أنه الشيخ الأمين واختلط الجيشان وكان أول عبد الله ود عجيب ابن عم الشيخ الأمين ضرب القائد فقتله وكان عبد الله ابن الشيخ الأمين حاضراً فاختلفا في درع المقتول وسلاحه حتى حضر الشيخ الأمين وحكم بها لابن عمه عبد الله القاتل ثم أن الشيخ الأمين بعد النصر طلب من ابن عمه وحده فأبى وتوجه إلى ضريح الشيخ صالح ولد بانقا محتمياً به فلما علم الشيخ الأمين قام بنفسه ودخل عليه في الضريح واستلم السيف منه وسجنه ثم أرسل أولاده مع الجيش لدنقلا ومعهم أبو ريده ولد خميس المذكور سابقاً فلما وصلوا الجبل الجلف هرب أبو ريده بجيشه ميلاً راجعاً لحلة الشيخ صالح ولد بانقا وجاء أولاً لمحل السجن وأطلق عبد الله ولد عجيب والأرباب محمد ولد الفحل الذي كان مسجوناً مع عبد الله واجتمعوا كلهم لقتل الشيخ الأمين قبل عودة أبنائه بالجيش ولما حضروا بمنزله لم يقدر أحد على الدخول عليه هيبة له فأمر أبو ريده جنوده أن يصلوا على المنزل وينبشوا السقف ففعلوا ذلك

وقتلوه برمي الحراب والسلطيات وهو ثابت على فراشه ولما رأى نفسه هالكاً طلب ابن عمه عبد الله ود عجيب وسلمه سيفه وقال له لا يأخذه منك العبد فمات رحمه الله تعالى بعد مضي عشرين سنة من ملكه ودفن بجوار الشيخ صالح ولد بانقا ثم خلفه في الملك ابن عمه الشيخ عبد الله الرابع ابن الشيخ عجيب الفيل.

وبعد دفن الشيخ الأمين توجه الشيخ عبد الله إلى اتبرا قبل عودة أبناء الشيخ الأمين الذين عادوا راجعين بعد هروب أبو ريده رفيقهم في السفر وذلك من جبل الجلف بقرب دنقلا وظنوا أنه راجع لقتل أبيهم فلما وصلوا بحلة الشيخ صالح ولد بانقا وجدوا أباهم قتيلاً وتوجهوا إلى الحلفاية وأخذوا ما كان لهم بها وخرجوا منها وسكنوا بالعيلفون حلة الشيخ إدريس وصاروا يغادرون الدار ويجمعون في الخيل لحرب الشيخ عبد الله وكان أول الأمر إغارة عبيدهم بجهة حلينقي بنواحي الحلفاية وأخذهم منها أغناماً إلى ذلك الوقت الشيخ عبد الله بجهة العنج ووكيله الأرباب على ولد بادي ولما علم بذلك لحقهم بمشروع أبو صلين قريباً من حلة العيلفون ومعه عثمان ولد فاطر شيخ المساعيد من أعز فرسان الشيخ عبد الله فتحاربوا وقتل عثمان ولد فاطر وجرح الأرباب على ولد بادي وقتل من العبيد واحد بعد ذلك أخذ العبيد حصان عثمان ولد فاطر وأغنامهم وجثة أخيهم المقتول وتوجهوا إلى العيلفون ولما علم الشيخ عبد الله جاء من العنج توا ونزل بالوادي الكائن شمال العيلفون لحرب أولاد الشيخ الأمين فتوسط الفكي بركات خليفة الشيخ إدريس لمنع الحرب بينهم فقال لهم لا أتركهم حتى يسلمون السلاح والخيول ويخدموا في الأرض لمعايشهم أو ينضموا لجيشي أو يخرجوا من بلدي فقالوا لا نسلم

سلاحنا ولا نتبعه وليتتظرنا لغد نخرج من بلده فوافق الشيخ عبد الله على ذلك وبات بمحله وكانت خيولهم غائبة فأرسلوا لإحضارها ليلاً فلما حضرت ضربوا نحاسهم إيذاناً بالحرب وأصبحوا مستعدين إليه فجاءت إليه الواسطة ثانياً فأبى أن يسمع لهم شفاعة والتقى الجيشان فانتصروا عليه وقتلوا من إخوانه وفرسانه العظام تسعة أبطال وبعد ذلك تركهم وتوجه إلى شرق أتبره ومر إلى القضارف في الأهلية للانتقام منهم ثم جاءهم بجهة الصعيد بحلة أم تحف وحاربهم حرباً شديداً فانتصر عليهم وقتل من أولاد الشيخ الأمين ثمانية عشر رجلاً وعند ذلك جاءت إليه امرأة تسمى غنية قالت له: ـ

القتلوا سابقاً أولاد عجيب سيدي والقتلوا الآن أولاد

الأمين نوري

أخليتو السروج اعجزو يا أسيادي

ثم جاءت إليه امرأة تسمى عجبت قالت له: نحمد الله الجيته، يا الدقر أبو سوميته يا الكملت العكليته بدور منك ناقه أسافر بيها للفيتريته ـ وخادم اسمها الدار بخيتة قال الشيخ اسمع يا دكام وكان دكام حارسه وقالت للشيخ أنت يا عاصي البلام للآن ناص دكام ثم الانقيب الشاعر ـ دقو النحاس حربيه ـ يبطرق المصريه، عبد الله البسوق الميه أصل التقال عرضيه:

ودفروا الحصان بيقيمه

جفت وراء البرسيمه

كم جدع علوجاً كيمه

يخلى السروج لي رحيمه

وتوجه الباقون منهم إلى الصعيد واستقر ملكه في الحلفاية بالعدل والإنصاف بين الرعية حتى اشتهر في كافة البلاد بسلطان العدالة ومما يذكر عنه أنه يربط السكينة في رقبة الشاة مع الملح والشطة ويطلقها في البلد للسارق ويقول هذه السكين لذبحها والملح والشطة لأكل المرارة وتمر على ذلك ليلاً ونهاراً فلا يتعرضها أحد من جملة ما ذكر عن عدله أنه وردت جلابة تجار من سواكن إلى الحلفاية ونزلوا بالسوق فلما أحس الليل تركوا بضاعتهم في مكانها وباتوا بالبلد ولما أصبحوا وجدوا بعضها مفقوداً فأتوا إلى الشيخ عبد الله قالوا له مانجل أنت البارحة سرقتنا فقال لهم عرفوني بسرقتي لكم قالوا له نحن جئنا من بلدة بعيدة ننزل في الخلاء ونطلق الحمل ليرعى ونترك البضاعة من غير حارس وننام فلم نفقد شيئاً حتى وصلنا قلت؟ فقال العبد حقاً جاء وكذباً راح لما أتتني شاة المدينة فحصلت لنا السرقة فنقول أنت السارق فلما فهم كلامهم قال لهم أنا السارق وفي الحين حضر رؤساء الجنود وأوعدهم بالعقوبة الشديدة إذا لم يأتوا بالسارق فاجتهدوا جميعهم في البحث حتى وجدوا السارق والبضاعة فسلمها لأهلها وعاقب السارق بالشرع ويقال أن في بعض الأيام أن أحد عبيد أبو المعالي ولد الشيخ حمد كان مشغولاً برى زراعته قريباً من مشرع الجيزة من شاطىء النهر شمال غرب حلة كوكو وهذا آخر الليل جاءت إليه شاة ضالة فمسكها وذبحها ودفنها في أصل شجرة فلما طلعت الشمس جاءت الخيل من الحلفاية وطلبت من الساقية وقالت له أحضر العبد فلان فأحضروه وتوجهوا به إلى الحلفاية ولا يعلم أهله ولا الرسل بسبب طلبه حتى أوقفوه أمامه فقال للعبد أن صدقتني

الحديث عفوت عنك وأن أبيت ضاعفت لك العقوبة البارحة في آخر الليل ماذا في آخر الليل وأنا كنت ماسك الماء وحدي فراودتني نفسي عليها فذبحتها والآن موجودة فقال لسيده إني عفوت عنه حرمة لجدكم الشيخ حمد ولد أم مريوم رضي الله عنه وأعطوا ثمناً لصاحبها وكانت له فراسة عظيمة يعرف بها اللصوص في وسط الناس فسأل عن ذلك فقال تأتي منه رائحة أعرفه بها وكان يعون للرعية ويقول لهم لا تجحدوا نعمة الله خوفاً حتى أبذلها عليكم أمان الله ورسوله ومن عادته المرور بالليل خفية للتطلع لأحوال الرعية وفي ذات ليلة سمع رجلاً من السفهاء العاطلين يسمى عبد الجليل يغني بقوله لا بشتري ولا ببيع ولا تكتب أضيع، بضرب كبد القطيع وأشرب صافي النقيع.. فلما أصبح أرسل للمحل الذي فيه الرجل فأحضره وسأله عن قوله فرد إليه قال له أنت مكان للسرقة والزنا وشرب الخمر وأمر بقطع رأسه فترجى الوزراء وأهل المجلس أن يتركه من القتل فقبل وقال أنه يخرج من بلدي فتحزم الرجل بثوبه وأخذ نعليه في يده وجرى من وجهه بعيداً ويقال أن الناس الذين رأوه بجهة العيلفون جارياً قال فيه أحد الشعراء:

عبد الجليل السبق سانه
والقتال في عقله ظانه
والحجر في كراعه فانه

وفي زمنه استتب الأمن وحفظت النفوس والأموال حتى كان الرجل الواحد يسافر بالأموال الكثيرة والمواشي إلى البلد البعيد فلا يجد من يتعرض له بسوء إلى أن يرجع لأهله سالماً وكان يحب أهل الزراعة الذين يحرثون الأرض بنشاط ويكرمهم

ويوبخ الكسالى منهم وله ساقية يباشر الزراعة فيها بيده أحياناً مع مشاغله وكان قوته منها وله أبيات شعر يرددها في الحراثة..

في زمن المسور سلمانتا فرس

هاج ذكر التدريت هاف البكوس

تحرس أم رسولي كبر النفوس

وكان يزجر تاركي الصلاة ويشدد عليهم حتى صار يقول من لا يخشى الله تعالى «نقوم نصلي صلاة عبد الله» وقد أمر الجزارين أن لا يذبحوا قبل صلاة الصبح بل يذبحوا عند طلوع الشمس ولما رفع إليه من ذبح قبل صلاة الصبح وسأله حلف بالطلاق أني صليت قبل صلاة الصبح فضحك الشيخ وقال: هذا لا يعرف أوقات الصلاة وأمر بتعليمه ومن حلمه إذا كان ماراً بالطريق وتعرض له أهل فرح عرس أو ختان كالعادة سلك طريقاً آخر وأما عن خصوص أولاد الشيخ الأمين الباقي منهم سكن الجزيرة بمدينة سنار سنتين يتدبرون في الأمر الذي يقتلون به الشيخ عبد الله ويستلمون به ملك الحلفاية وبعد ذلك تفاوضوا في الأمر مع الشيخ ناصر ولد محمد ليساعدهم على قتله فلم يوافقهم وأخيراً عرضوا الأمر على أخيه عدلان ابن محمد سراً بأن يساعدوه على أخيه الشيخ ناصر ويولونه ملكاً على سنار ثم يساعدوهم على حرب الشيخ عبد الله وتعاهدوا بالكتاب على هذا الأمر ثم حاربوا الشيخ ناصر مع عدلان وقتلوه حتى استولى على ملك سنار واستعد الجميع من سنار وتوجهوا إلى الشيخ عبد الله بالحلفاية وحاربوه حرباً شديداً إلى أن قتل رحمه الله ودفن بالحلفاية وملك أربع سنوات.

الشيخ ناصر بن الشيخ الأمين

كان رجلاً شجاعاً صاحب رأي وتدبير ومكث في الملك بالحلفاية خمسة وعشرون سنة إلى أن كبر وحضر دخول إسماعيل باشا في السودان سنة ١٢٣٥ ألف ومائتين وخمسة وثلاثون هجرية وقابله بالحلفاية ثم توجه إسماعيل باشا إلى سنار وطلب من الشيخ ناصر أن يأخذ معه ابنه الأمين وكان الأمين وكيلاً لأبيه فإذن له وسار مع إسماعيل باشا إلى سنار فلما وصلوا توفي الشيخ ناصر بالحلفاية رحمه الله وملكه خمسة وعشرون سنة كما أسلفنا ثم بعد وفاة الشيخ ناصر تولى ابنه.

الشيخ الأمين ابن الشيخ ناصر ـ بسنار

بواسطة إسماعيل باشا وبعد استلام إسماعيل باشا سنار رجع مع الشيخ الأمين إلى مدينة الحلفاية وأقره في محل أبيه فنزل معه سنجك بأربعمائة عسكري وتوجه إسماعيل إلى مدينة شندي فلما وصل طلب من الملك نمر ومن معه أشياء كثيرة فصعبت عليهم ثم دبروا المكيدة لقتله وقد كان وقتلوه بحرقه بالنار هو وعسكره فلما وصل الخبر للعسكر الذين بالحلفاية احتجبوا في حوش كبير وقدووه فواقيل وكلما مر بجهته أحد هجم عليهم بالرصاص وأخيراً هجم عليهم عساكر الشيخ الأمين فقتلوهم وكان الدفتردار بكردفان جاء بطريق دنقلا وصار يحارب ويقتل في الناس إلى أن وصل الحلفاية وتحارب مع الشيخ الأمين ابلقا فلما رأى أنه لا قبل له بحربه لأن سلاحه ناري وسلاح الأمين السيف والرماح توجه إلى الهلالية وأرسل إلى أولاد أبو لكيلك أن ينضموا إليه ويحاربون معه ثم حضروا حرب الدفتردار

في الهلالية وقتلوا من جيشه أناساً كثيرة ثم قام من الهلالية ماراً بالبحر مسرعاً فلحقه جيش الدفتردار فحاربهم حرباً شديداً حتى اختلط الجيشان وتحاربوا بالسلاح الأبيض وعندها تأخر جيش الترك منهزماً فواصل الأمين سيره إلى القلابات وسكن بها فلما علم به شيخ التكارفه بالقلابات جمع له جيشاً عظيماً وطمع في قتل الشيخ الأمين فحاربه الشيخ وقتل جيشه وقبض على الشيخ عريته ثم قتله وولى على القلابات ابن عمه الشيخ ميري وأقام بها عشر سنين وبعدها أرسلت له الحكومة الهامان فجاءها ورتبت له معاشاً يكفيه وسكن بالحلفاية إلى أن توفاه الله ودفن بها رحمه الله ثم خلفه. الشيخ محمد بن الشيخ ناصر.

في زمن الحكومة المصرية وبعد ستة شهور توفي علي رحمه الله تعالى ثم خلفه ـ الشيخ إدريس بن الشيخ ناصر وكان رجلاً فاضلاً كريماً شجاعاً صنديداً ذو عزم وحزم وكان ذا قول مسموع وكلمة نافذة عند الحكام فقد جعلت له الحكومة راتباً شهرياً كما ردت عليه أطيانه والوديان التي كان يهب منها لأهل المساجد ورؤساء الدين وقد كان من عادة حكمدار الخرطوم إنه إذا خرج في حرب أخذ معه رؤساء قبائل السودان وكثيراً ما كان يأخذ معه الشيخ إدريس لثقته فيه ومما يحكى أنه خرج مرة إلى حرب البازة وعربان العنج بالتاكا فلما قربوا من العدو نصب لأحمد باشا خيمته بالقرب من جبل وتخلف هو ومشايخ السودان وأرسل القوه لقتل العدو نصب لأحمد باشا خيمته بالقرب من جبل فتسلق بعضهم الجبل وصاروا يلقون عليهم الصخور فتدحرجت صخرة عظيمة من تلك الصخور إلى أن اقتلعت أوتاد الخيمة وفزع الباشا ومن معه من المشايخ وفروا هاربين عدا

الشيخ إدريس لم يفارق مجلسه فلما أزيل العدو ورجع الباشا إلى مكانه عاتب الشيخ لتعريض نفسه للهلاك فقال الشيخ إدريس باللفظ الدارجي (الما بناك ما بكسرك) أي قل «لن يصبنا إلا ما كتب الله لنا» أما الجيش فسار غير بعيد فوجد كميناً من العربان واختلطوا بهم فانهزم الجيش في بادي الأمر وسار ـ المنهزمون حتى وصلوا إلى الخيام بحالة منكرة فلما رآهم الشيخ على تلك الصورة سار إلى حصانه وجرد سيفه وحمل على العربان حملة منكرة ووضع فيهم سبفه وجال فيهم يميناً ويساراً إلى أن أجلاهم عن مواقفهم وأخذ منهم المدفع الذي أخذوه أولاً عند انهزام الجيش ولم يتعقبهم هو ومن معه إلى أن تفرق جمعهم فسر الحكمدار منه سروراً عظيماً من شجاعته ونجدته النادرتين وتأكد له إخلاصه وكبر في عينيه وقرب من منزلته وصار منه كالروح للبدن ولما صار على تلك الحالة من المحبة والإخلاص أطلع الشيخ إدريس على صورة المكاتبة التي كانت بين الشيخ عجيب الثالث وعظمة السلطان سليم فلما رآها الحكمدار قال للشيخ إدريس لك الحق في حكم الشايقية في السودان وبحكم هذه المكاتبة مع السلطان سليم في الانفراد بحكم السودان . . . الحكومة المصرية متعدية عليك وظالمة لحقوقكم ثم اتفقا على إرسال هذه المخاطبات ومعه التاج الذي استحوذ عليه أجداده من ملوك العنج "ى سلطان استنبول وطلبا منه أن يكون السودان تابعاً لدولته العالية رأساً وأن يكون الشيخ إدريس نائباً عن السلطان في بلاد السودان وقبل وصول هذه المكاتبة اكتشفت المؤامرة وأرسلت الحكومة المصرية جيشاً وحكمداراً آخر للقبض على أحمد باشا الحكمدار المتآمر وأرسله إلى مصر فلما علم بذلك

تجرع سماً ومات. وأما الشيخ إدريس فلم تلتف إليه الحكومة وما زالت تحترمه إلى أن توفاه الله تعالى ودفن بالحلفاية رحمه الله ثم خلفه الشيخ جماع بن الشيخ الأمين وكان رجلاً فاضلاً ورعاً تقياً لا تزعزعه حوادث الزمان وكان مقبولاً عند الحكومة وقد أعطته مرتب عمه الشيخ إدريس وأيضاً اعطته السلطة في خدمة الوديان يخدمها من المزارعين فحفر أول ظهور المهدية فطلبت منه الحكومة المساعدة برجاله فعين ابنه الأمين سنجكا على أربعمائة وتوجه مع علي بك عويضة لحرب المهدي بكردفان فقتل هو وعسكره مع رجال الحكومة وتوفي الشيخ جماع قبل وصول المهدي بالخرطوم ودفن في مقبرة برنكو بالصعيد رحمه الله ثم خلفه بعده ابنه الشيخ ناصر في زمن المهدية.

وقابل المهدي قبل فتوح الخرطوم فأمره على قبائل العبدلاب ومن تبعهم وكان حاضراً مع الشيخ العبيد محاربه محمد علي باشا وبيده سيفه الجمجم المشهور وكان يعرف ضربه بقطع البنادق وكل أحد عرض سلاحه قطعه نصفين بسيفه فسمع بذلك الخليفة عبد الله خليفة المهدي فطلب الشيخ ناصر ولد جماع وأحضره أمامه وأخذ منه السيف لينظره وبعد ما نظره طمع في أخذه منه فوضعه تحت فخذيه ظناً منه أن الشيخ ناصر يتركه له فلما طالت المدة وتفرق المجلس مد الشيخ ناصر يده واستلمه من تحت فخذيه ثم قال له الخليفة (ولد جماع سيفك بخدا) فقال له الشيخ ناصر: «السيف عندي أمانة فلا أسلمه حتى ينقطع رأسي وهو سيف القبيلة كلها وعندي كالأمانة»

وسافر مع جيش المهدية لحرب الحبشة فقتل شهيداً مع الكثيرين من رجاله وفقد السيف في تلك المعركة وخلفه..

الشيخ الأمين ولد عمر في آخر المهدية فحضر الفتوح وقابل الحكومة مُن مدة ونجت باشا حاكم السودان العام في ذلك الوقت فكساه كسوة فاخرة وكان محبوباً عند الحكومة فتوفي بحلة الشيخ جماع ودفن في مقبرة بربك رحمه الله ثم خلفه ـ الشيخ محمد بن الشيخ جماع الحالي.

انتهى هذا التاريخ وقد تم رسمه يوم الاثنين من جماد الثاني سنة ألف وثلاثمائة ورابعة وخمسين من هجره سيد المرسلين ﷺ على يد كاتبه المعترف بذنبه وراجي عفو ربه فذاك أحمد ابن على آدم اللهم اغفر له ولجميع المسلمين والمؤمنين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ثم آمين آمين.

وقد تم نقله في يوم السبت ١٢ ربيع ١٣٨٢ ألف وثلاثمائة واثنتان وثمانون من هجرة سيد الأنام عليه الصلاة والسلام وقد كان النقل بالعزازة من قرى القضارف على يد ناقله خادم هذه الشريفة والدوحة المنيعة وليت شعري بم أشبهها إذا كانت هي القطوف الذاتية والثمار اليانعة التي أكل منها المسلمون في اختلاف عصورهم وبعد أماكنهم ولا غرو فهي أي تلك الفترة الظاهرة ما زالت تجرد صوارحها وتمتطي جيادها لإعلاء تلك الكلمة الطيبة لا إله إلا الله.

إذن إنها خلاصة الدهور وتحفة العصور ما دام أصلها ثابت وفروعها في السماء ومن فخر النفوس بل وسعادتها أن تنتمي أو تنتسب لهذه الضعة الطيبة فمن أي الأبواب أتيت فأنت سعيد إن شاء الله لذا فإني أحمد الله وأشكره على أن من علي بأن يأمرن سيدي وسنوي بنقل هذا التاريخ الحافل فأخلد أسمى فيه رجاء الدعوة الصالحة والذكرى..

نقله الفقيه المذكور بالصفة السالفة الذكر عثمان أحمد حمد بيلي من أهالي منصوركتي قرى مروى بالمديرية الشمالية في ١٥/٩/١٩٦٢م.

ملوك العبدلاب

ملوك قرى	من	إلى	مدة الحكم
الشيخ عبد الله جماع	٩١٠ هجرية	٩٧٠ هجرية	٦٠ سنة
الشيخ عجيب المانجلك	٩٧٠ هجرية	١٠١٩ هجرية	٦٠ سنة
الشيخ عثمان عجيب المانجلك	١٠١٩ هجرية	١٠٢٠ هجرية	٠١ سنة
الشيخ محمد العقيل عجيب المانجلك	١٠٢٠ هجرية	١٠٤٥ هجرية	٢٥ سنة
الشيخ عبد الله البرنس بن العقيل بن عجيب المانجلك	١٠٤٥ هجرية	١٠٦٢ هجرية	١٧ سنة
الشيخ هجو بن عثمان بن عجيب المانجلك	١٠٦٢ هجرية	١٠٦٧ هجرية	٠٥ سنة
الشيخ عجيب الثاني بن عريبي بن عجيب المانجلك	١٠٦٧ هجرية	١٠٧٣ هجرية	٠٦ سنة
الشيخ مسمار بن عريبي بن عجيب المانجلك	١٠٧٣ هجرية	١٠٧٨ هجرية	٠٥ سنة
الشيخ علي بن عثمان بن عجيب المانجلك	١٠٧٨ هجرية	١٠٨٥ هجرية	٠٧ سنة
الشيخ حمد السميح بن عثمان بن عجيب المانجلك	١٠٨٥ هجرية	١٠٩٥ هجرية	١٠ سنة
الشيخ عجيب الثالث بن محمد العقيل بن عجيب المانجلك	١٠٩٥ هجرية	١١١٠ هجرية	١٥ سنة
الشيخ بادي بن عجيب الثالث بن محمد العقيل بن عجيب المانجلك	١١١٠ هجرية	١١١٤ هجرية	٠٤ سنة
الشيخ دياب أبو نائب بن بادي بن العقيل بن عجيب المانجلك	١١١٤ هجرية	١١٢٣ هجرية	٠٩ سنة

ملوك للحلفاية	من	إلى	مدة الحكم
الشيخ عبد الله بن عجيب العقيل بن عجيب المانجلك	١١٢٣ هجرية	١١٤٤ هجرية	٢١ سنة
الشيخ تمام بن عجيب بن العقيل بن عجيب المانجلك	١١٤٤ هجرية	١١٤٨ هجرية	٠٤ سنة
الشيخ مسمار بن عبد الله بن عجيب بن العقيل بن عجيب المانجلك	١١٤٨ هجرية	١١٥٣ هجرية	٠٥ سنة
الشيخ ناصر بن شمام بن عجيب بن العقيل بن عجيب المانجلك	١١٥٣ هجرية	١١٦١ هجرية	٠٨ سنة
الشيخ عجيب بن عبد الله بن عجيب بن العقيل بن عجيب المانجلك	١١٦١ هجرية	١١٨١ هجرية	٢٠ سنة
الشيخ عمر بن عبد الله بن عجيب بن العقيل بن عجيب المانجلك	١١٨١ هجرية	١١٨٣ هجرية	٠٢ سنة
الشيخ الأمين بن مسمار بن عبد الله بن عجيب بن العقيل بن عجيب المانجلك	١١٨٣ هجرية	١٢٠٣ هجرية	٢٠ سَنة
الشيخ عبد الله بن عجيب بن عبد الله بن عجيب بن العقيل بن عجيب المانحلك	١٢٠٣ هجرية	١٢١٠ هجرية	٠٧ سنة
الشيخ ناصر بن الأمين مسمار بن عبد الله بن عجيب بن العقيل بن عجيب المانجلك	١٢١٠ هحرية	١٢٣٥ هجرية	٢٥ سنة

اعتذار وتنبيه

.. لقد رأينا أن نضم إلى صفحات هذا الكتاب عن شخصية الحاكم العبدلابي الشيخ عجيب المانجلك، صفحات أخرى عن عهد العبدلاب كما ترويها وتسجلها مخطوطة قديمة.. قديمة أعيد نسخها عدة مرات وتعددت بذلك نسخها.

وكما يدرك القارىء فهدفنا بنشرها هنا لا يتعدى تعريف جمهرة القراء بها ثم تقديمها إلى المهتمين والمختصين بالبحوث المنهجية ـ لعل أحداً يتولى مهمة التحقُيق والمضاهاة المنهجية لهذه المخطوطة.

ـ وهنا لا بد أن نسجل أن القارىء لا بد أنه وجد صعوبة في متابعة قراءة نص المخطوط ـ والذي حرصنا على الاحتفاظ الكامل له بطابعه النصي ـ بما قد يكون في لغته من أغراب وأحياناً أخطاء نحوية ـ وذلك ما يوجبه دائماً الاشتغال بمثل هذا العمل.

لذلك نود أن ننبه لذلك، ونعتذر عنه، واثقين من أن عملاً تراثياً تاريخياً كهذا ـ لا تقلل من شأنه مثل هذه الهنات وشكراً لكم.

المؤلف





الدكتور صلاح محيي الدين محمد

- أستاذ جامعي / العميد لكلية الدعوة والاعلام : جامعة أم درمان الاسلامية .
- متخصص أكاديمياً على مستوى الدبلوم العالمي والماجستيروالدكتوراة في الصحافة والاعلام .
- شارك بالبحوث والدراسات العلمية المتخصصة في مجالات الصحافة والاعلام في المؤتمرات والندوات داخل السودان وفي الخارج .
- والمؤلف هو صاحب البحث الفائز بمحور الاعلام الاسلامي في المؤتمر السابع للندوة العالمية للشباب الاسلامي بالرياض : المملكة العربية السعودية
- تصدر له هذه الدار قريباً رسالته العلمية المتداولة عربياً بين المتخصصين والصحفيين والاعلاميين وهي عن نظرية الدور الوطني التاريخي للصحافة في أقطار العالم الثالث ـ مع التطبيق على الصحافة في السودان ومراحل تطورها بعنوان : الصحافة والحركة الوطنية في السودان
- صدرت للمؤلف منذ أواخر الستينات العديد من المؤلفات حول التفسير التربوي والثقافي والوطني لتاريخ السودان الحديث.
- يعرفه الكثير من القراء العرب من خلال مقالاته ودراساته المنشورة بالمجلات والصحف : عربياً وسودانياً .